

الترجمة والتغريب في عصر الانحطاط الثاني: ملامح التغيير في العربية المعاصرة

بقلم علي درويش^١

٢ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٤

من أمارات التخلف والانحطاط في المجتمعات والحضارات غياب النقد الأدبي وانصراف النخب المثقفة عنه والتفاتها إلى التزلف إلى الحاكم والتودد إلى السلطة والتقرب من رب العمل والتملق إليه، على حساب المعايير والقيم والمستويات، خوفاً من سطوة الرقيب وخشية فقدان مصادر العيش، في زمن يتزايد فيه التركيز على الوجود الآني والاستكانة والاستلاب، وتتشابك فيه المصالح، وتتعاظم فيه سيطرة الطغم الفاسدة والمتخمة على المرافق العامة والخاصة. فتشتد حَمَلَاتُ القمع والكبت والرقابة، وتضمحل القيم والمعايير، وينتشر أدب المسكنة والانصياع والامتثال الذي يدعو الناس إلى غض النظر وخفض البصر. فيصبح الأدب، لا سيما الشعر، وصفاً طيبة جاهزة لأوجاع وآم المجتمع وعلة وأفاته وأمراضه، كما كانت الحال في عصر الانحطاط الأول. فهذا هو ابن الوردي يقول:

وحظك موفور وعرضك صينُ
فكلك عورات وللناس ألسن
فصنها وقل يا عين للناس أعيين
وفارق ولكن بالتي هي أحسن^٢

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
وعينك إن أبدت إليك معايياً
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى

^١ أستاذ الترجمة والتواصل في جامعات ملبورن أستراليا.

فإن تعالت صيحات الاحتجاج هنا وهناك على تلك الأوضاع المؤسفة بين الفئنة والأخرى، سارع أئمة إجماع الجهلة في ميادين اللغة والأدب والثقافة والفنون والإعلام وغيرها، إلى النيل منها ومن صحتها وإخامادها والقضاء عليها. فتخبو جذوتها أو تكتسب الرمزية في التعبير، أو تختفي وتتوارى عن الأنظار والأسماع، وتصبح في أدب الممنوعات والمحظورات. فها هو أبو العلاء المعري يقول في زمن غلب عليه التزمّت والتشدد، وقد اعترف هو بذلك فقال إنه يصطنع الألفاظ والأحاجي لإخفاء أغراضه على كثير ممن يتناولون مؤلفاته:

خفف الوطاء ما أظن أديم الـ | أرض إلا من هذه الأجساد

فكان أول من نادى بتحديد النسل ومنع الحمل عند العرب في بيئة متمزّمة متخلّفة. ولكنه بطّن معنى البيت فعمي على القراء والنقاد. فظنوا الوطاء في البيت هو الدوس بالقدمين والمشي على الأرض، وهذا ظاهر الكلام، ولكنه قصد الجَماعَ، فالوظء هو الجماع أيضاً. فكانه يقول لهم كفاكم تكاثراً.

وَطِيَّ يَطَأُ طَأً وَطْئًا : الشيءَ: داسه؛ وطي الولدُ النملَ فقتله. وطي العدوَّ: غزاهُ. وطفه الطريقُ: نزل بقربه. وطي المرأةُ: جامعها. **والوظءُ** مصدر، وفي الأصل: الدوسُ بالقدم.

وقال فيه الأديب طه حسين: "فما أعرف أن أحداً وعى اللغة العربية كما وعها أبو العلاء. وما أعرف أن أحداً راضَ اللغة العربية كما راضها أبو العلاء."^٣

أما في المجتمعات المتحضرة، فيكثر النقد بجميع ضروبه ووجوهه. فلا تؤخذ الأمور على عواهنها دائماً. بل يُحتكم فيها إلى العقل أحياناً والمنطق والتفكير لا التكفير والتحليل النقدي لا المالي. فلا يسلم من النقد أحد. فإذا ما قورنت هذه الدعوة إلى المسكنة وغيض الطرف بعصور القوة والحيوية والزخم الفكري والأدبي لوجدنا فرقاً كبيراً بين (١) تفويض المواطن وتمكين الفرد وإعطائه صلاحيات ضمن أطر اجتماعية تضبط سلوكه وتحكم علاقاته بغيره من أفراد المجتمع بما يكفل صلاحه وصلاح المجتمع، من جهة، و (٢) الدعوة إلى الذل والمسكنة وغيض الطرف من جهة أخرى. فها هو الرسول الكريم (ﷺ) يحض الناس:

"من رأى منكم منكراً فليقومه بسيفه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه - ذلك أضعف الإيمان."

وهذا التفويض يشبه إلى حد بعيد التفويض الذي تمنحه، وإن بعبارات منمقة تتماشى مع العصر الحديث، المجتمعات المتحضرة والتمدنة والديمقراطية في الغرب، وهو ما يدعى بـ (citizen's arrest). وهو مفهوم الشرطة المدنية وحق المواطن في منع الجريمة. وتحصره تلك المجتمعات في الأفراد الذين يوظفون للقيام بدور شبيه بدور الشرطة كالحراس المدنيين وغيرهم. و"المُنكَّرُ هو كُلُّ مَا تحكّم العقولُ الصّحيحةُ يَقْبُحُهُ أَوْ يَقْبَحُهُ الشَّرْعُ أَوْ يُحَرِّمُهُ أَوْ يُكْرَهُهُ". فأساء الناس تفسيره وتطبيقه، فأعطوا لأنفسهم الحق في التدخل في شؤون الآخرين وفرض مناظيرهم ونظمهم عليهم، ابتداء من العائلة وانتهاء بالسلطة، في مجتمعات متخلفة تقوم على مبدأ التقليل والاختزال وإلغاء الشخصية الفردية وتغييبها وطمس معالمها والتسلط والاستبداد والتعسف. ولقد قال الفيلسوف مري إدلمان (١٩٨٨) في "بناء المنظور السياسي"^٤:

"إن اليقين الخُلقي، لا الشك، هو الذي طالما شجع الناس على مدى التاريخ على إلحاق الأذى بالآخرين أو قتلهم. فمجازر الإبادة الجماعية، والاضطهاد العنصري والديني، وبقية القائمة الطويلة من التصرفات السياسية التي لطخت تاريخ البشرية، لا يمكن أن تتأتى إلا من بشر على يقين بأنهم على حق." (ص ٤)

ولقد عرف العرب النقد الأدبي منذ الجاهلية، إذ كثرت في أواخر العصر الجاهلي أسواق العرب والمجالس الأدبية التي كانوا يتذاكرون فيها الشعر، وكثر تلاقي الشعراء بأفنية الملوك في الحيرة وغسان، فجعل بعضهم ينقد بعضاً فكانت تلك المناظرات نواة النقد العربي الأولى.

ومع ابتعادهم عن الجاهلية خفت سليقتهم وتهرأت فطرتهم، "وأصبحت ملكة الأدب وملكة النقد تُكتسبان اكتساباً، وكما بعد العهد بالجاهلية قوي الحرص على تنظيم اللغة العربية. وعلى تعرف كنهها والبحث في مفرداتها وتراكيبها وأعاريض الشعر فيها، بحثاً يعتمد القياس، ووضع القواعد"^٥ (ص ٥٢-٥٣). فقد كانت اللغة العربية تتسم بالإيجاز في العصر الجاهلي، وقد حرص العرب على الإيجاز فحذفوا كل ما يمكن حذفه من حرف أو كلمة أو جملة أو عبارة إذا كان الكلام مفهوماً بدونها وظهر الدليل عليها، خلافاً لما تجنح إليه الصحافة العربية اليوم. ولقد صنف فقهاء اللغة ثلاث طرائق في التعبير: المساواة والإطناب والإيجاز. فإذا جاء التعبير على قدر المعنى، بحيث يكون اللفظ مساوياً لأصل المعنى فهذا هو "المساواة". وإذا زاد التعبير على قدر المعنى لفائدة، فذاك هو "الإطناب"، فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل. فإذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير، فذلك هو "الإيجاز"^٦. وأولى العرب الإيجاز أهمية كبرى يؤكدتها قول الإمام علي

عليه السلام: " ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز. " وقال الحطيئة رداً على سؤال ابنته "لم لا تطيل شعرك؟": " حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ولقد علق المستشرق تيتوس بيركهارت (١٩٧٦) على هذه الظاهرة الفريدة في اللغة العربية في معرض مديحه ونقده، فقال^٧:

"إن طبيعة اللغة العربية تسمح بتكثيف عقيدة كاملة في صيغة قصيرة وموجزة واضحة وضوح الماس. وهذه الطريقة في التعبير تتحقق بمجملها في القرآن؛ ولكنها مع هذا تشكل جزءاً من العبقرية العربية وتنعكس في الفن العربي الإسلامي، فهذا الفن ليس إيقاعياً فحسب بل هو شفاف وصاف كالبلور أيضاً.

والإيجاز في الجملة العربية من الواضح جداً أنه لا يحد من عمق المعنى، ولكنه في الوقت ذاته لا يسهل عملية التوليف على المستوى الوصفي: فالعربي نادراً ما يجمع عدداً من الأحوال والظروف في جملة واحدة. بل يؤثر ربط سلسلة من العبارات القصيرة. وفي هذه الناحية، فإن اللغات الإلصاقية، كالتركية، التي تنتمي إلى عائلة اللغات المنغولية، أقل شظفاً وأكثر مرونة من اللغة العربية؛ فعندما يتعلق الأمر بوصف وضع أو منظر طبيعي، فإن اللغة التركية بصراحة أشد تفوقاً من العربية. والشيء ذاته ينطبق على اللغة الفارسية، وهي لغة هندية أوروبية قريبة من الغوتية؛ بيد أن كلتا اللغتين اقتترضت من العربية لا مصطلحاتها الدينية فحسب بل مفرداتها الفلسفية والعلمية كذلك." (٤٥)

ولكن العرب الأوائل لم يفعلوا ذلك عن تكلف، أو عجز فيهم أو في لغتهم، كما يتشدد بيركهارت دون دليل يقدمه، فكأنه ملك ناصية العلم في اللغات جمعاء وبرع فيها فوصف وخطب وكتب، بل قل حللها من منظور لغته الاستعلائي الضيق. وإنما يأنسون إلى طبيعتهم في الاختصار، لصفاء ذهنهم ووضوح معانيهم وتوافق الكلام مع الفكر، وهذا هو منتهى التواصل الفعال وغايته. أما رأيت كيف يتواصل الناس في عصر السرعة والوجبات المزفوفة والهواتف النقالة والإنترنت في بيئة سريعة تنهار وتطبق على من فيها؟ يقول الدكتور عبد القادر حسين:

"وكان الذوق هو الحكم في تفضيل كلام على كلام، ولكن الذوق الجميل لم يعد قادراً على الصمود حين اعتنق الإسلام جمعاً من الأجانب والمولدين

الذين لا تسعفهم العربية في سلامتها وإعرابها، فضلاً عن فصاحتها وبلاغتها، فكان فساد الذوق وقصور الطبع، ثم محاولة تعلم طريقة العرب في الكلام، سبيلاً إلى تعلم وسائل الفصاحة وأدوات البلاغة، واستنباط المقاييس البلاغية من القرآن والشعر والخطب." (ص ٩)

وما كادت الأمة العربية تخرج من براثن الاستعمار والاحتلال في منتصف القرن المنصرم، والذي مهد له عصر الانحطاط الأول، حتى بادرت القوى العظمى إلى فرض هيمنتها عليها من خلال الانتداب والوصاية ومن ثم الغزو الثقافي والحضاري، فراحت تواجه تحديات كبيرة للتخلص من قيود التبعية ومخلفات الاستعمار الثقافية والفكرية والإدارية، وفي طبيعتها مشكلة تغريب اللغة والحضارة العربية عن أبنائها. فقد نشطت الدعوات إلى إبدال الخط العربي بالحروف اللاتينية، وإحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصيحة، والتي ما تزال تلقى صدى في بعض الأوساط المستلبة، انتهاءً بالحملة الجديدة الرامية إلى إضعاف البنية الداخلية للغة العربية الفصيحة ولهجاتها العامية من خلال تبنيها للأشكال الصرفية والتراكيب النحوية للغات الأجنبية لا سيما الإنجليزية، والتي يقوم المترجمون العرب والمستعربون بدور رئيس فيها بوعي وغير وعي.

وبهذا الصدد يقول المخ (١٩٧٥)^٨: "لقد قامت محاولات عديدة قام بها بعض المستشرقين وتلامذتهم من المثقفين العرب لمسح اللغة العربية وإفسادها كتابةً ونطقاً وتنتظم هذه المحاولات في ثلاثة اتجاهات..."، تتلخص في اتجاه استشراقي، واتجاه عربي متمغرب واتجاه عربي مرتبط بالحركة الوطنية. ويؤكد بالقول "ما كان الدفاع أو عدمه لوجود لولا وجود التحدي، هذا التحدي الذي يجعل منه أرنولد تونبي القانون الطبيعي الخالق للحضارات. إن التحدي هو الذي يشعنا اليوم بضرورة القيام بواجبنا العلمي الموضوعي نحو العربية دون تعصب أعمى أو تغافل عن الواقع..." (٢٩).

ووفقاً لتقارير اليونسكو، فإن ما يربو على نصف لغات العالم والبالغة ستة آلاف لغة، مهدد بالانقراض، إما بسبب اندثار حضارات تلك اللغات أو انقراض أهلها أو ذوبانهم في بوتقة حضارات أخرى طواعية أو قهراً وقسراً، أو انصرافهم عنها إلى لغات أخرى بسبب عوامل نفسية واجتماعية وحضارية وسياسية واقتصادية. واللغة العربية ليست بمنأى عن هذه العوامل المؤثرة والتأثيرات الخطيرة التي تسهم فيها وتساهم في ترسيخها وتقويتها الفضائيات العربية في عصر الانحطاط الثاني. وتتعرض اللغة العربية إلى ظاهرة الاستنزاف اللغوي (language attrition)، في بيئة اللغة نفسها، بسبب هذه العوامل. والاستنزاف اللغوي هو "فقدان المعرفة اللغوية مع مرور الزمن"، كما عرفه دي بوت (٢٠٠١)^٩. ومن أعراض تلك الظاهرة الإكثار من الترجمة الحرفية والاقتراس اللفظي

والمجازي وتبني الأشكال الصرفية والأنماط الفكرية الأجنبية. وبذلك تنجح الحملات الهادفة إلى زعزعة بنيان اللغة وإضعاف بنيتها الداخلية، فتجد المرء يرصع كلامه بمفردات بل وعبارات أجنبية كما هي، وتزداد نسبة المقترضات اللفظية بشكلها الأصلي حتى تتحول العربية إلى مجرد حروف عطف وروابط، لا غير، كما يفعل اليوم أبناء وطني، أو تجده يتبنى التعبيرات المجازية والاصطلاحية الأجنبية فيخرجها بكلمات عربية، فتسمع بدم بارد، وغسيل الأموال، ويتمتع، ويمتلك. وتخفق ملكة النقل الحرفي أحياناً كثيرة فتجد تخريجات لا تنتمي إلى أي من اللغتين، نحو " الأستراليون أصحاب أطول ساعات عمل في العالم".

ولم ينجُ من تأثيرات هذه الظاهرة وتلك الحملات أشد الناس حباً باللغة العربية وأكثرهم حرصاً عليها. فهي هو ميخائيل نعيمة (١٩٨٩) يقول في مهب الريح:

"أريد أن أحصر كلامي في العربية وأبنائها ... فهي اللغة التي رضعتها مع اللبن ، فمشت في دمي ، وجرى بها قلبي ، واتخذتها الترجمان الأول لقلبي وفكري. وأبناؤها إخواني ، صبغتهم صبغتي ، وأسرارهم أسراري ، وأوزارهم أوزاري، وإني لأسائل نفسي وأسائلهم: ما الذي فعلناه في سبيل لغتنا من بعد أن تسلمناها من أسلافنا؟ هل نحن عاملون على تنقيتها من أدرانها ، وعلى تشذيب ما ييس من فروعها وأغصانها، وعلى إعتاقها من أوزار ماضيها التي ترهقها وترهقنا من غير أن تنفعنا بشيء أو ننفعها؟

كيف لي أن أجيب بالإيجاب و "أن" وأخواتها، و "كان" وأخواتها ، وأحرف الجزم ، وأحرف النصب ، والممنوع من الصرف ، والأسماء الخمسة ، والأفعال الخمسة، ونون الإناث ، ولام "كي" ، وعين المضارع ، والإعلال والإدغام ، والهمزة ، و"حتى" وغيرها من طلاسم صرفية ونحوية تنخزي بألف منخز ، وتطعنني بألف حربة، وتتغامز علي بألف عين وعين، ملؤها الخبث والغطرسة والتهمك والسخرية؟

...ونحن لو تفحصنا عبقرية **اللغة** العامية بتجرد مطلق لوجدناها أقرب ما تكون من عبقرية اللغة الإنكليزية التي هي في هذه الأيام أكثر اللغات حيوية وأوسعها انتشاراً. فالعامية – كالإنكليزية – قد استغنت عن الإعراب في أواخر الأسماء والأفعال ، فلا رفع ، ولا نصب ، ولا جر ، ولا جزم ، ولا تمييز في الصفات بين الذكور والإناث في صيغة التثنية والجمع... في حين أن **الفصحى**

تعاند ناموس التطور لأنها لغة أقوام نزحوا عن هذه الأرض منذ مئات السنين
فأصبحوا في مأمن من ضرورة مجازاة الزمان ومقتضيات الأحوال" (١٢٩) -
(١٣٢).

ولا شك أن في هذه النظرة الضيقة والبدائية إلى اللغة الإنجليزية والانبهار بها عجزاً عن فهم
مكوناتها ودقائقها، فلقد أسقطت الإنجليزية بحق حركات الإعراب من أواخر الكلمات واستعاضت
عنها في بعض أشكالها بقواعد ضمنية أخرى، كما أشرنا في مقالة سابقة بالنسبة إلى النعوت
ورصفها، فتضبطها وتضبط معانيها وأوجه استعمالها في قوالب جامدة محددة يتحكم فيها تواترها
وانتشارها بين الناطقين بتلك اللغة. وما زال أهلها يفهمون الكلام بشموليته فإذا وقفوا عند دقائقه
تملكهم اللبس والحيرة والضياع. فإذا اعترضت أحدهم العبارة (project manager) على سبيل
المثال، لم يعر ذلك أي اهتمام إلى أن يضطر إلى التفكير في كنه العبارة وفيما إذا كان القصد هو
مشروع (project) أو مشاريع (projects). ولا يضطر إلى ذلك إلا في حالات نادرة كالقانون
والترجمة مثلاً. تلك هي طبيعة اللغة وعبقريتها.

أضف إلى ذلك أن ثمة فرقاً بين العربية الفصحى والعربية الفصيحة^(١)، فالفصحى هي العربية الخالصة
السليمة من كل عيب ولا يخالطها لفظ عامي أو أعجمي. والفصيحة هي العربية المعيارية
(standard Arabic) التي تعتمد الفصحى أساساً لها، وتتغير بتغير البيئة والمجتمع والمعارف
والعلوم وتتطور بتطور الناطقين بها واختلاطهم بالشعوب والأمم الأخرى والتفاعل معها. فلم يعد
في العصر الحديث عربية فصحى، بل هي عربية فصيحة تميز المتعلم عن الأمي والعالم عن الجاهل
والمتقف عن الفظ والجلف. لذا وجب التمييز بينهما. وتسمية العربية المعيارية بالفصحى خطأ.
وقد أخطأ نعيمه وغيره من أئمة الفقه اللغوي كالصالح (١٩٦٩) ويعقوب (١٩٨٢) وفريحة
(١٩٧٣) في تحليلهم ودراساتهم أو اتهاماتهم فلم يميزوا بين الاثنتين، ومنهم من توهم بأن اللغة
العربية الفصيحة جامدة لا تتغير "تعاند ناموس التطور".

ولقد سعى بعض الأنظمة العربية إلى تعريب المناهج الدراسية والنظم الإدارية وغيرها في مطلع
القرن العشرين. ورغم ما يأخذه بعضهم على السياسات التي اتبعتها الأنظمة التي تبنت مبدأ
القومية العربية فقد قامت تلك الأنظمة بمبادرات مهمة في التعريب. غير أن افتقارها إلى أطر النقل
المعرفي والتعريب المنظم والمنهجي أدى إلى إخفاقها وفشل مشروع التعريب الكبير في أغلبية
البلدان العربية. فلقد حصر القائمون على مشاريع التعريب في المناهج التربوية التعريب في
المصطلحات واختزلوا عملية النقل المعرفي في جدل عقيم تمخض عن ثلاثة مواقف فلسفية
وسياسية وشبه منهجية: التعريب الكامل للمصطلحات، والاقتراس الكامل، والمزج بين التعريب

والاقتراض. ولقد التبت عليهم تلك المفاهيم الثلاثة وختلفوا في تعريفها، لا سيما فيما يتعلق بمفهومى التعريب والاقتراض، وموقع الترجمة منهما.

أما التعريب فمنهم من عرفه بأنه التعبير عن كل شيء أجنبي باللغة العربية، وقال آخرون إنه نقل الألفاظ الأجنبية بصيغة عربية، و"أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها". وحصره الباحثون في تعريب الألفاظ المقترضة من اللغات الأجنبية. ولم يتجاوزا هذا المفهوم البدائي إلى العبارات والجمل والأشكال الصرفية الأخرى. كالمتلازمات والتعابير الاصطلاحية والمجاز وحروف الجر وغير ذلك. ففصلوا بين التعريب والترجمة من حيث لم يدروا. ولم يكن الخلف خيراً من السلف. فرغم اتساع رقعة الفقه واللسانيات واشتمالهما على نظريات حديثة في اللغة والمصطلح والتحليل والترجمة في العصر الحديث، فما يزال معظم النقلة والمتخصصين يخطئون في أبسط الأمور، لا سيما في حروف الجر، فلا يعربونها بل يغربونها لعطل في عقولهم، وحماسة في أدمغتهم، وبلادة فكرية واختفاء السليقة عندهم، فيساهمون في نشر البلبلة اللغوية وقد تملكهم الصلف والعنت والكبر^{١٢}. وقد وقفنا على كثير من الأمثلة التي تثبت إثباتاً دامغاً مدى جهلهم بأصول اللغة والنقل والترجمة. ولم يتنبه الباحثون إلى هذه الظاهرة الخطيرة التي تتجاوز اللفظ المفرد والاقتراض المعجمي. فتجد العرب اليوم ما يزالون يرددون حماقات لغوية لا يقف الواحد منهم عندها لحظة واحدة لتصحيحها. وهذا من أمارات الجهل وأعراض التخلف الفكري وغياب الوعي بل وموت الضمير عندهم. فكيف تقر لهم عين وهم يصرون على الخطأ من بعد ما أتاهم الخبر اليقين؟ ولا شك أن استقامة الخلق والنزاهة المهنية تتجلى في تلك الصغائر التي تتكون منها شخصية الفرد. فمن يصير على الخطأ وهو عالم به في موقع المسؤولية فهو ليس جديراً بالثقة أو الاحترام. بل هو مجرم وجبت إدانته! فهل يثق المرء مثلاً بطبيب يعطيه حبة غُفْل^{١٣} لمرض عضال؟ وهل يثق المرء بمحام محتال أو محاسب نصاب؟ فكيف يثق المرء بإعلامي جاهل أو مترجم كذاب؟

وقد جاء في المعاجم في تعريف التعريب:

عَرَبٌ يُعَرَّبُ تَعْرِيْبًا :- الكلمة الأجنبية: نقلها بلفظها الأجنبي مصبوغاً بصيغة عربية؛ عَرَبْتُ كلمات كثيرة في العصر الحديث كالتليفون والراديو وغير ذلك. **عَرَّبَ** الكتابَ الأجنبيَّ: نقله أو ترجمه إلى العربية؛ عَرَّبَ الكُتَابُ في مطلع عصر النهضة كثيراً من القصص والمسرحيات الأجنبية. **عَرَّبَ** التعليمَ أو الإدارة: جعل العربية لغتهما؛ عَرَّبَتِ الدول العربية التعليم فيها بعد الاستقلال. **عَرَّبَ** الشخص: علّمه العربية؛ قام العربُ بعد فتوحاتهم بتعريب سكان البلاد

المفتوحة. **عَرَّبَ** الكلامَ: أوضحه؛ **عَرَّبَ** عنه لسانه، أي أبان وأفصح. **عَرَّبَ** عن صاحبه: تكلم عنه واحتج. **عَرَّبَ** منطقةً: هذبها من اللحن؛ ظلَّ يَجوِّدُ لغته حتى **عَرَّبها** تماماً. **عَرَّبَ** الشخصَ: قبَّح كلامه وردَّ عليه، ويقال **عَرَّبَ** عليه .

وفي هذا المجال، يقول بن نعمان (١٩٨١) في كتابه "التعريب بين المبدأ والتطبيق"^{١٤}:

"لقد مر مفهوم التعريب على أطوار كثيرة عبر التاريخ العربي الإسلامي.. وتغيرت دلالاته تغيراً كبيراً ، إلى درجة أن أصبح اللفظ يعني كلمتين متفتحتين في الشكل ومختلفتين في المضمون والدلالة والأبعاد تمام الاختلاف." (٦٠ - ٦١)

والمدلول اللغوي للتعريب، وهو الإبانة، قد استمر بهذا المعنى الاصطلاحي لتحديد استعمال العرب للألفاظ الأعجمية. ويحدد بن نعمان خمس طرائق لدخول المفردات إلى اللغة العربية، والأمثلة له: التعريب وهو نقل الكلمة الأجنبية بلفظها، كتلفون— ويختلف بذلك عن غيره ممن تناولوا تعريف التعريب، والترجمة وهي إبدال كلمة أجنبية بكلمة عربية تؤدي المعنى نفسه، بل هي نقل معنى أو أسلوب من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، كترجمة السكة الحديدية، والقطار، وسيارة الإسعاف، والكهرباء، والاشتقاق والنحت والتوليد، وهو إدخال ألفاظ جديدة إلى اللغة العربية لم يكن لها وجود في اللغة العربية أو في اللغات الأخرى (٤٠٦).

أما المفهوم الثاني للتعريب فهو أوسع نطاقاً من الأول، كما يرى بن نعمان. وهو "يعني نقل العلوم والفنون، والآداب ، من اللغات الأعجمية ، إلى اللغة العربية، وعرفنا نتيجة لذلك ، تعريب العلوم ، تعريب الإدارة ، تعريب المحيط الاجتماعي، تعريب المرافق الحضارية، في البلاد العربية... فذلك هو المعنى المقصود بالتعريب في هذا المقام والمقال" (٦١). وبذلك يجمع بين تعريب اللفظ وتعريب أداة نقل المعارف والعلوم وهي اللغة.

ويرى الصيادي (١٩٨٥) مفهوم التعريب بأنه "إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية، لتعميم اللغة العربية واستخدامها في كل ميادين المعرفة البشرية ، وبهذه النظرة الجديدة التي قدمت التعريب النفسي الفكري على التعريب اللفظي المعروف قديماً يكون المفهوم قد اكتسب صبغة إنسانية شاملة تعنى بالفرد العربي وبمصيره الكوني، إذ لا يفيد تعريب الألفاظ إذا ما بقيت العجمة هي المسيطرة على العقلية ، وإذا ما انسلخ الفرد تدريجياً عن المجموعة التي ينتمي إليها" (٩٥)^{١٥}.

أما شاهين (١٩٨٦) فيرى أن التعريب قد يقتصر على إحداث بعض التغييرات الشكلية في الكلمة لتصبح معربة، لأن المعرب الحديث في رأيه لا يلزم أن يقام على وزن عربي بصورة كاملة ليصبح ذا هوية عربية وليعامل معاملة اللفظ العربي، على حد قرار مجمع اللغة العربية، بل "إن اللفظ الأجنبي إذا تعرض لتغييرين أو أكثر اعتبر معرباً" (٣١٤ - ٣٢٢)^{١٦}. وبذلك سعى إلى التحرر من قيود الأوزان العربية القديمة القائمة والمولدة وفتح الباب على مصراعيه لكل من دب على الأرض ونطق بكلمة أو كلمتين وظن أنه مترجم أو متخصص في علم المصطلح، في زمن الإنترنت الذي تنتشر فيها المسارد غير الموثقة والمشكوك في صحتها فيتلقفها الأعرار والغافلون. وقد تنبه شاهين إلى تلك الناحية فقال: "إن معرفة أكثر المشتغلين بالعلوم للغة الإنجليزية لا ترقى إلى مستوى معرفة أهلها أنفسهم، فهم يستخدمون لغة لا يحسنونها، ويهملون لغتهم التي يمكن أن يحققوا بها مستوى أداء أفضل، فيزدادون ضعفاً على ضعف" (٣٦٦). ويذكرنا بأن العربية المعاصرة تلجأ إلى الترجمة والتعريب والتدخيل والتوسع الدلالي والتوليد بأشكاله كلها في سبيل التوصل إلى لفظة معبرة، أو مصطلح جديد. وتتمسك هنا الاجتهادات المختلفة في تحديد وتعريف طرائق استنباط المفردات في العربية وتداخل التعريب بالتوليد وبالافتراض والاشتقاق وغيرها.

ويرى الفهري (١٩٨٢) أن اختلاف الأوضاع اللغوية "يستوجب القول بخصوصية المشكل اللغوي، فالتعريب ليس الفرنسية"، وأن التعريب مرتبط بالزمان والمكان. فالتعريب "في وضع فضائي - زمني"^{١٧} معين (المغرب في القرن العشرين مثلاً) ليس عينه التعريب في وضع فضائي - زمني آخر (مصر في القرن الرابع). (١٨٤)^{١٨} ويخلص إلى أن "التعريب، دون شك، درجات. أسفلها تعريب لا يمس إلا اللفظ (صيغة وصوتاً). [...] والتعريب في مرتبة ثانية يستخدم اللفظ والمعنى، إلا أنه يظل حبيس محيط أو ثقافة داخلين"^{١٩}. [...] وأرقى مراتب التعريب طبعاً أن نصل إلى تعريب للفكر اللساني، أي نبدع في اللغة وبها مقولات تجعل غيرنا يأخذ عنا، ولكن السبيل إلى ذلك شائك ووعر" (٢٤٢).

ويرى يعقوب (١٩٨٢) أن تلك التعريفات كلها للتعريب "تتفق فيما بينها، على أن المعرب لفظ أجنبي تنطق به العرب، ولكنها تختلف في شرط التعريب، فبعضها يشترط تغيير اللفظ المعرب بالنقص أو الزيادة أو القلب، وإلحاقه بأحد الأوزان العربية، وبعضها الآخر لا يشترط هذا الشرط"^{٢٠}. (٢١٦ - ٢١٥).

أما الافتراض فعرفه حجازي (١٩٧٨) بأنه "دخول ألفاظ غير عربية إلى اللغة العربية، ويعبر بعض اللغويين عنه بكلمة التعريب، وهي كلمة نستخدمها هنا استخداماً عاماً ليشمل الطرق المختلفة للتعبير عن مفاهيم ومصطلحات غير عربية باللغة العربية، وبهذا فالتعريب لا يعني [...] الافتراض

فحسب بل يشمل أيضاً الوسائل الأخرى للتعبير بالعربية للمفاهيم والمصطلحات الحديثة^{٢١}(٧٧). ويشتمل الاقتراض على التعريب والاقتباس اللفظي والترجمة. وهكذا يظهر التداخل في تعريف التعريب والاقتراض. وفي غياب الأطر الواضحة لنقل المعارف والعلوم عبر الترجمة، يصبح التعريب تغريباً، إذ يتحول إلى عملية استنساخ لأنماط وأشكال لغوية وفكرية ومنطقية للغات المنقول منها. ويصبح تعريب العلوم عملية دبلجة ودملجة، فكأنها برامج تلفازية مكسيكية في محطة من المحطات الفضائية العربية، أصواتها عربية ومضامينها أجنبية. وما يميز عصر الانحطاط الثاني عن عصر الانحطاط الأول هو أن العالم كله أضحى مترابطاً ومتواصلاً، تحكمه تقنيات التواصل والعولمة، وتسيطر عليه اللغة الإنجليزية ومصادرها الإخبارية. ولا مناص من التأثير السلبي بها في غياب التدريب على منهجيات واعية في الترجمة والنقل.

ولقد كان للطهطاوي وغيره من الزمرة الأولى التي أسهمت في النهضة العربية الوجيزة وساعدت في اتصال الشرق بالغرب (١٧٩٨ - ١٩٣٩) أثر كبير في إرساء منهج الحرفية المطلقة والفسيفسائية العمياء في اللغة العربية في الحقبة التي مهدت لعصر الانحطاط الثاني. إذ استفاد هو ومن معه إلى فكرة الإصلاح في ستينات القرن التاسع عشر، دون انتظار تقرير من الأمم المتحدة. وبعد عودته إلى مصر من فرنسا عمل كمترجم في مدارس التخصص الجديدة، وصار بين ليلة وضحاها خبيراً في الترجمة. فقد كان ذا حظوة لدى سيده محمد علي، كما هي الحال بالنسبة إلى بعض المتحذلقين والمتملقين والانتهازيين في العصر الحديث. "وفي عام ١٨٣٦، عين رئيساً لمدرسة اللغات الجديدة وكلف بإعداد الطلاب لدخول المدارس المهنية وتدريب الموظفين والتراجمة^{٢٢}. وكان في الوقت نفسه يعمل مفتشاً للمدارس وفاحصاً وعضواً في لجان تربوية، ورئيساً لتحرير الجريدة الرسمية "الوقائع المصرية". ولكن عمله الأهم كان في الترجمة^{٢٣}(٩٤). فأدخل نهجه الحرفي في الترجمة، كما فعل البستاني في لبنان، وأرسى قواعد "المدرسة الطهطاوية في الترجمة الحرفية" للأجيال القادمة التي ما زالت غير قادرة على الفكك من أسرها وما برحت عاجزة عن التحرر من عبوديتها. ولقد ذهب الطهطاوي إلى أوروبا في أول بعثة دراسية استكشافية أرسلها سيده محمد علي، تماماً كما يحدث اليوم مع المقربين من السلطان وأهل الحكم والفصل وأولي النعمة والفضل. فلم يكن عبقرياً فذاً متميزاً. وعاد يعيث في اللغة خراباً لجهله بأصول الترجمة والنقل. ولم يقف على منهجيات الترجمة وطرائقها التي كانت سائدة في أوروبا في ذلك العصر، على بدائيتها، رغم ما يقال عنه بأنه "ألقي بنفسه في خضم الدراسة بحماس ونجاح. فاكتسب معرفة دقيقة باللغة الفرنسية وبمشاكل ترجمتها إلى العربية"^{٢٤}(٩٢) في خمسة أعوام فقط.



ولا تظهر هذه المعرفة الدقيقة في ترجماته ونقوله. فكان كالطفل الصغير الذي ذهب إلى حرش العيد وعاد ليخبر أمه بما رأى من ألعاب. فعرب بل نقل مناقلة حرفية صوتية بدائية ألفاظاً أجنبية كثيرة افتقرت إلى المنهجية والاتساق والمعرفة والأصول. ولم يميز بين الترجمة والنقل كمن سبقوه، فأدخل مجموعة من الألفاظ الأوروبية الحديثة في كتابه "تلخيص الإبريز في وصف باريز"، بشكل خاص، فكان منهجه أقرب ما يكون إلى لوثة الجنون والجهل من أي شيء آخر. فترجم على سبيل المثال، قارة أميركا تارة بـ (أمريقه) وتارة بـ (أمريكه)، وترجم الولايات المتحدة الأميركية كما لفظت في الفرنسية (بلاد الاتازونيا، وهي الأقاليم المجتمعة) نقلاً عن (Etats Unis)، والحجر الصحي بـ (الكرنتينه) نقلاً صوتياً لـ (quarantine)، و(الجرنال) لـ (journal)، و(التياتر) لـ (theatre)، و(السبكتاكل) لـ

(spectacle)، و(الأنسطينيوت) لـ (institut)، و(مدرسة بوليتقنيقا) نقلاً للتسمية (école polytechnique). و(الكرنوال) نقلاً للفظ (carnaval)^{٢٥}. فلا عجب أن ينتهج أحفاده النهج ذاته أينما وطأت أقدامهم وفي أي صحفية أو مجال إعلامي رست سفنهم، وبنوا قلاعهم المتصدعة، فتسمعونهم يقولون (أجندة) و(أوتيل) و(ترمينال)، وغيرها من مغربيات، ويغرقون في الحرفية الحمقاء فيقولون بكل بلاهة وغباء في برامج وثائقية تفتقر إلى الوثائق والتوثيق والتدقيق.

يتمتع سكان الجزيرة بأعلى نسبة من سرطان الغدة الدرقية.

فكان هؤلاء الحمقى يترجمون برنامجاً سياحياً لاجتذاب السياح إلى جزيرة ملوثة بالإشعاعات الذرية للاستحمام والاستحمام وقضاء أجمل الأيام فيها. ولو كان هناك جوائز للحمقى في الترجمة لفاز هؤلاء بالجائزة الأولى.

هذا هو بعض مما يقذف به إعلامنا العربي الذي يحترم ذوق المشاهدين ويراعي الدقة والأمانة والشفافية في نقل المعلومات إليهم. فهل هناك من يستحث الضمائر ويحتج على هذه السخافات والقاذورات المخالفة للغة والمنطق، أم أن العرب أصبحوا جميعهم مستلبيين يقبلون بكل ما يخالف المنطق والقياس في برامج جاهزة تروج مناظير غريبة مستهلكة؟ وقد صدق الشاعر النبطي الإماراتي حين قال:

والحر منفي بوسط التلال	ساد الوطى وعيال العبيد
هموم وذل وقلّة رجال	العرب باتوا بصفر الرصيد
ونحن بالمعونة خطانا ثجال	الشر غطى بلاد الرشيد
ولا وعدكم طماه الهزال	الا وينكم يا أصحاب الوعيد

ونظراً لغياب الأطر العلمية للنقل المعرفي وافتقارهم إلى الذاتية المشتركة مع أصحاب المعرفة المنقولة وضحالة معرفتهم اللغوية، فقد تعامل هؤلاء الرواد والطلّيعيون مع المعارف والعلوم بسطحية خطيرة، فأدى ذلك إلى تشويه كبير في جوانب مهمة من المعارف والعلوم التي نقلوها أو أوكلوا ترجمتها إلى تلامذتهم، تماماً كما يفعل السادة الكرام من مترجمين وصحفيين وقارئى وعارضات أخبار في وسائل الإعلام العربي وغيره اليوم. فترجموا على سبيل المثال النص الآتي من الكتاب المقدس عن الإنجليزية:^{٢٦}

“For God loved the world so, he gave his only begotten Son...”

على النحو الآتي:

“لأن الله هكذا أحب العالم فبذل ابنه الوحيد.”

فلم يفتنوا إلى معنى الكلمة (so) فظنوه (هكذا). والواقع أن معناها هنا هو (كثيراً)، فشوهوا الأصل بالتصاقهم بحرفية الكلمات منعزلة.^{٢٧} ولم يفتنوا كذلك للوظيفة البلاغية للفظ الإنجليزي وما يقابله في المفعول المطلق بالعربية.

“لأن الله أحب العالم حباً كثيراً فبذل ابنه الوحيد.”

وترجموا على سبيل المثال اللفظ (reconcile) بالمصالحة، دون اعتبار المعاني الأخرى، لا سيما المختصة منها، في علم البصريات مثلاً، وهو استواء وتطابق صورتين لشيء واحد. فتحول المعنى المجازي إلى معنى حسي حقيقي، فتصالح الابن مع أبيه. ولا نستطيع أن نجزم إذا كان ذلك بفعل الترجمة الحرفية المطلقة أم بسبب التأثر بالفكرة المسبقة عن الموضوع عند المترجم. ولقد صرف المترجمون الأوروبيون جهداً كبيراً في ترجمة النصوص المقدسة الآرامية والعبرية والسريانية إلى اللاتينية فاختاروا بعد جهد ولأى لفظ (reconciliare) للتعبير عن الأقوم المقدس. فقد كان أولئك متمكنين من صنعتهم ومن لغتهم، تحذوهم الأمانة العلمية وحرصهم على

نقل المعاني السليمة والصحيحة. ولكن العامة من الناس فهموا المعنى العام من الكلمة لاسيما بعد ترجمتها إلى اللغات الأوروبية، إثر اضمحلال اللغة اللاتينية المعيارية وظهور الدول الأمم والدعوة إلى ترجمة النصوص اللاتينية إلى اللغات المحلية.

ونجد هذا النهج الحرفي ينفشى في كل شيء عندهم. تأملوا الوضع المعكوس في ترجماتهم إلى اللغة الإنجليزية للآية الكريمة:

{إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش..} [الآية ٥٤، سورة الأعراف]

Lo! Your Lord is Allah who created the heavens and earth in six days, then mounted He the Throne. [Pickell]

Surely, your lord is Allah, who created the heavens and the earth in six periods; then He Settled Himself on the Throne. [Khan]

Your Lord Allah, who in six days created the heavens and the earth and then ascended his throne. [Dawood]

Your Guardian-Lord is God, who created the heavens and the earth in six days, and is firmly established on the Throne (of authority). [Yusuf Ali]

لاحظوا في الترجمة الأولى كيف ترجم بيكل لفظ (استوى) بـ (mounted) فكأن الله عز وجل، يمتطي صهوة جواد، أو شق عليه الصعود إلى العرش، حاشا لله. أما في الترجمة الثانية فقد رأى خان أن يترجم اللفظ بـ (settled himself)، فكأن رب العباد استقر بعد هياج وفوضى. أما المترجم العربي داود، والذي أعاد ترتيب السور ترتيباً زمنياً تسهيلاً على القارئ الإنجليزي، فقد ترجم الجملة (ثم استوى على العرش) بـ (then ascended His throne)، بمعنى (اعتلى عرشه). فكأن هناك عرشاً آخر لإله آخر، وكأن الذات الإلهية كانت في مكان خفيض ثم ارتقت إلى العرش. وفي هذه الترجمة خلل فاضح وتشويه للأصل.

أما المترجم يوسف علي، وهو المدلل والمجاز من المراجع الدينية الإسلامية في الأزهر الشريف وغيره، فقد ارتأى وهو المترجم الفيلسوف والمقلد لأسلوب إنجيل الملك جيمس، أن يلغي الحركة في الفعل فاختر فعل الكينونة (is) وترجم اللفظ بـ (is firmly established)، ثم استطرده

فأضاف كلمة (of authority) ترجمة للفظ (العرش) للإيضاح فصار (عرش السلطة أو السلطان الراسخ والمكين)، فضيع الوجه البلاغي بل المعنى المقصود. ولقد ترجم يوسف علي معاني القرآن الكريم كما فهمها هو، فزاد وانقص وتصرف، وفقاً لمعرفته المسبقة من المصادر الأخرى. وهنا يكمن الخلل في المفهوم البدائي السائد للمعنى في ترجمة معاني القرآن عند الفقهاء والعامّة. فأبي وجه من وجوه المعنى تراه يترجم؟ جاء في تفسير الجلالين:

(٥٤) (إن ربكم الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام) من الدنيا، أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لحظة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبث (ثم استوى على العرش) هو في اللغة: سرير الملك استواء يليق به... .

ولم يشرح لنا المفسران المتبحران معنى الاستواء، ومن أين أتيا بـ (لم يكن ثم شمس). ولو كان هذا جواباً عن سؤال في امتحان ثانوي أو جامعي لرسب صاحبه من أول مرة. ومنهم من قال ألت الحاكمة إليه، فكأنها لم تكن له قبل ذلك، بل كانت لغيره. فكيف يُنتظر من مترجم عربي ضحل الثقافة والمعرفة بلغته، أو مستعرب غير متمكن من اللغة العربية، كالناطق الرسمي الأميركي الجديد الذي يتحدث اللغة العربية بكل طلاقة وسلاسة وطلاوة، فيقول في ساعة ما يقوله غيره، أو ربما هو في لغته، في دقيقة، أن ينقل هذا المعنى إلى اللغة الإنجليزية؟ ويتساءل المرء هنا حول هذا الناحية، كيف تسمح الخارجية الأميركية بمبتدئ في اللغة العربية أن يمثلها وينقل رسالتها في وسائل الإعلام العربي، إن لم يكن ذلك هبوطاً في المستويات والمعايير أو استخفافاً بالذين يتواصلون معهم. فهل تسمح لمن يتحدث بهذه القدرة في الإنجليزية أو غيرها أن يتبوأ مثل ذاك المنصب وتنيط به مسؤولية التواصل الدولي؟

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الترجمات كلها ترجمات سيئة وريئة، شوهدت الأصل تشويهاً كبيراً. ولكن أئمة إجماع الجهلة يفرحون لكل ما يترجم من العربية وإليها، ولا يدركون أبعاد ذلك ومزالقه ومخاطره. ودون الخوض في تفاصيل فقهية لا مجال لها هنا، نكتفي بقول الإمام علي كرم الله وجهه: "فمن وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد كفر". والحقيقة هي أن الاستواء هو (reconciliation). فلو نظرت إلى الشيء من خلال عدسة غير مركزة لرأيت صورتين للشيء الواحد. ولكنك عندما تضبط تركيز العدسة تستوي صورتان في صورة واحدة. ولكن الشيء ذاته لم ينفصم أو يصبح شينين ولم يبرح مكانه، خلافاً لما تقول به التفاسير وترجماتها. ولو صورت حركة شيء بكاميرا متعددة الأطر (multi-frame camera) لرأيت عدة صور متطابقة للشيء الواحد. وهذه صورة مجازية تقريبية لانهماك الذات الإلهية في خلق السماوات والأرض. ولا علاقة

لها ههنا بالصورة الحسية إطلاقاً. ولو شاء لخلقهن في لمحة. ولكن الأذهان تكل عن هذه المعاني المتخصصة وتتجافى الأدمغة عنها فتلجأ إلى الحرفية المطلقة العمياء على حساب المعاني الجوهرية، لعجز لغوي وقصور منطقي، فتشوهها وتشوشها وتسقطها من الترجمة والتفسير وتهرطق فيها. والله أعلم.

جاء في المعاجم:

استَوَى يَسْتَوِي استَوًى استِواءً [سوي]: اعتدل؛ استوى في جلسته. -: استَقَرَّ. **استَوَى** الشَّيْئَانِ أَوْ الشَّخْصَانِ: تساويا. **استَوَى** الشَّخْصَ: تمَّ شِبَابُهُ. **استَوَى** الطَّعَامَ: نَضَجَ. **استَوَتْ** الأَرْضُ: صارت جدباً. **استَوَتْ** به الأَرْضُ: هلك فيها؛ تمنى لو تستوي به الأرض ليتخلص من شقاء حياته. **استَوَى** على سرير الملك: تولى الملك. **استَوَى** إليه: قصد وتوجَّه لا يلوي على شيء؛ استوى إليه غاضباً كأنما يريد الإمساك بخناقه. **استَوَى** الشَّيْئَانِ وَتَسَاوَيَا: تماثلاً. **والاستِواءُ** في كلام العرب على وجهين: أحدهما أن يَسْتَوِيَ الرجلُ وينتهي شبابه وقوته، أو يَسْتَوِي عن اعوجاج، فهذان وجهان. فهذا قوله عز وجل: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}. قال الفراء: وقال ابن عباس ثم استوى إلى السماء صعداً، وهذا كقولك للرجل: كان قائماً فاستوى قاعداً، وكان قاعداً فاستوى قائماً، قال: وكلُّ في كلام العرب جائز. وقول ابن عباس: صعد إلى السماء أي صعد أمره إلى السماء. وقال أحمد بن يحيى في قوله عز وجل: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}. قال الاستِواءُ الإقبالُ على الشيء، وقال الأَخْفَشُ: استوى أي علا، تقول: استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته. واستوى على ظهر دابته أي استقرَّ. وقال الزجاج في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}، عمدَ وقصد إلى السماء.

وتتكرر هذه القصص المحزنة في برامج تقدم باللغة الإنجليزية في فضائيات تسعى إلى التواصل الفعال مع الغرب، فتسمع أحدهم يتحدث لغة العربلية، فيقول:

Allah, Master of this universe.

يقصد الله رب العالمين. بدلاً من أن يقول مثلاً (Master of the universe). ولم يدر صاحبنا أنه أشرك من حيث لم يدر ونقل صورة مشوهة إلى المشاهد الأجنبي. فكأن الله عز وجل له كون

وهناك رب آخر له كون أو ربما أرباب أكثر لهم أكوان أخرى. ومن تحدث بلغة قوم بغير علم فقد ضل.

وحالة الانفصام في اللغة والمصطلح والانتماء ما تزال على أشدها. فعملية الاقتباس والاستنباط ما تزال معطلة عند العرب. فسنة تطور المصطلحات عند الشعوب الواعية تبدأ باقتباس مصطلح بأي طريقة شئت، ويتعايش المصطلح المقترض مع المصطلح المقتبس ثم يسقط أحدهما من الاستعمال ويرسو الناس على أحد المصطلحين. أما في اللغة العربية، فما تزال المصطلحات تتخبط بعضاً ببعض في حالة انفصام لغوي ومصطلحي ونفسي. فتجد الهاتف والتلفون، والراديو والمذياع، والتليفزيون والتلفاز، والحاسوب والكمبيوتر (وعليك أن تلفظها في بعض الأقطار العربية بالكمبي يوطر)، والحافلة والباص والأتوبيس. وسيدا وأيدز والأود. وهذا دليل عجزهم وعدم وعيهم وافتقارهم إلى النضج الحضاري والثقة القومية. وحيثما حلت زمرة من الزمر المهنية القطرية في أي مجال من المجالات فرضت سياساتها اللغوية والمصطلحية التي تميزها فكراً وفلسفياً وسياسياً وعقدياً. إذ يمكنك من خلال الفراسة اللغوية، أو ما يعرف بالتحليل اللساني الجنائي (forensic linguistic analysis) أن تقف على هذه الملامح والخصائص وتحدد معالمها ومعالم شخصية الذين يتبنونها. ولعل اللفظ (forensic) المشتق بحسب المعاجم الأجنبية من اللفظ اللاتيني (forensis) بمعنى (الجمهور)، مقتبس من اللفظ العربي. فالفراسة هي المهارة في التعرف على بواطن الأمور من ظواهرها. ومن المعروف عن المعاجم الأجنبية أنها تفقد الذاكرة فجأة عندما تتعلق الأمور بالأصول العربية للألفاظ الأجنبية. ولقد قام الأسباب في النصف الأخير من القرن المنصرم بتطهير قاموسهم من الألفاظ العربية أو من الإشارة إلى أصولها العربية. وهذا أيضاً ما يقوم به الإيرانيون حديثاً في تشديد على الهوية القومية للشعب الإيراني. أما نحن العرب اليوم فكل من غشي أمي صار عمي.

وفيما يبحث الإنسان الجاد عن مقابلات ذات معنى ودلالات لا تخالف العرف والقياس والمنطق ولا تخل بفحوى الكلام الأصلي حرصاً على سلامة النقل المعرفي وصحة التعابير، والأمانة العلمية والأدبية والخلقية التي يتحمل أعباءها ويحمل أوزارها المترجم الملتزم النزيه، ما انفك الأغرار والمتمرسون على حد سواء في عصر الانحطاط الثاني عند العرب وما فتنوا يدخلون تعابير غريبة عجيبة مخزية تزداد حماقة وغباء، فلا تلين لهم عزيمة ولا تفتقر لهم همة؟ فهاهم عمالقة اللغة والترجمة والصحافة والأدب يترجمون بكل صفاقة وغباء مطبق، وقد تعطلت أدمغتهم، التعبير الإنجليزي (open-ended) كالاتي:

قام الباحث ببناء هذا المقياس باتباع خطوات عديدة متتالية ، كان أولها توجيه سؤال مفتوح النهاية إلى طلاب في تخصص علم النفس...

أن تكون جزءا من سياق مفتوح النهاية أصلا...

ونوعية أكثر منها رقمية وإشارية أكثر منها قابلية للقياس الكمي، وهي مشروع متصل مفتوح النهاية .

يتعارض حتما مع العلم الأساسي أن يكون مفتوح النهاية قابلا للتنفيذ...

واصلت القيادة الفلسطينية رفض أية اتفاقية ذات "نهاية مفتوحة" ...

للأحداث لتصل إلى نهاية مفتوحة لا تحقق فيها رغبة...

إضافة إلى برلمانات جميع الدول الأعضاء. حيث أن للعملية نهاية مفتوحة...

باتخاذ خطوات ملموسة نحو تحويل الصندوق إلى حساب مشترك ذي نهاية مفتوحة وذلك بناء على قرار لجنة المستثمرين في الصندوق.

يتماشي مع الواقع العربي الحالي من خلال قصة حب انتهت نهاية مفتوحة...

قصص ذات نهايات مفتوحة...

بعبارات غامضة تحتمل نهايات مفتوحة يخطط لها قادة الاستكبار العالمي...

فأفضى به الكاتب إلى نهايات مفتوحة غير محسوسة أثقلت كاهله...

الدائرة ليست لها نهايات مفتوحة تبدأ وتنتهي عندها...

ولقد أدرك مترجم المثال الثالث سخافة وحماسة وبلاهة هذا التعبير فوضعه بين مزدوجين. فتراه يتخبط بين سليقته اللغوية التي تنخره وعدم فهمه لعملية الترجمة وأصولها فيتوهم بأن الالتزام بحرفية الشكل هو المطلوب في الترجمة. ومعنى لفظ (open-ended) في الإنجليزية هو الآتي:

Open-ended (adj)

1. Not restrained by definite limits, restrictions, or structure
2. Allowing for or adaptable to change.
3. Inconclusive or indefinite: “faintly bemused and uneasily open-ended about the whole horrible business” (Charles Michener)
4. Allowing for a spontaneous, unstructured response: an open-ended question.

[American Heritage Dictionary]

فكما يرى أولو الأبواب وذوو الحجى، فإن معنى اللفظ ليس نهاية مفتوحة. بل هو ههنا (غير محدد أو غير مقيد، حر، غير نهائي، سائب). وقالت العرب (الأضلاع السائبة)، وهي الأضلاع التي لا يتصل طرفها الأمامي بالقص. ولولا التزام الإنسان بالأدب ل زاد من وصفه لهؤلاء الحمقى والأميين والمجرمين من الكتبة والصحفيين والمثقفين والمؤلفين اللامعين والمرموقين والبارزين والمبرزين على اللغة وعلى الترجمة. فمن الواضح أن كل من تعلم حرفاً أو كلمة أو كلمتين صار فيلسوف زمانه في الترجمة والنقل. ولا يعرفون معنى اللفظ العربي (نهاية)، ولا يستشعرون خلاً منطقياً وتضاداً بين كلمة (نهاية) و (مفتوحة). فالنهاية هي غاية الشيء وآخره. فكيف تكون غاية الشيء وآخره مفتوحة. والخاتمة هي من كل شيء: أقصاه وآخرته وعاقبته ومنتهاه. فإذا كان لا بد من الالتصاق بحرفية الكلام الإنجليزي، فالأحرى استخدام لفظ (طرف) مقابل (end). فالطرف من كل شيء هو حَرَفُه ومنتهاه، كطرف الأنبوب المفتوح مثلاً. ولكن يبدو أن المترجمين والكتبة مصابون بالنواسير اللغوية المفتوحة.

ولقد أشرت في المقالة السابقة إلى الخلل الذي أصاب السليقة العربية بفعل الترجمة الحرفية المباشرة، لاسيما بالنسبة إلى التثنية بعد كلا وكتنا. ولقد كنت أراجع الترجمة العربية القديمة لكتاب أرسطوطاليس في فن الخطابة، فوقف على أمر طريف ومحزن في آن معاً. تأملوا المقطع الآتي من الكتاب:

إن الريطورية^{٢٨} ترجع على الديالكتيقية، وكتاهما توجد من أجل شيء واحد. ويشتركان في نحو من الأنحاء. وقد توجد معرفتهما لكل، إذ ليست واحدة منهما علماً من العلوم منفرداً. ولذلك ما توجد جميع العلوم مشاركة لهما نحو:...

فعلى الرغم من ركاكة الأسلوب وحرفية الترجمة وغموض المقاصد، فقد قام محقق النسخة بتصحيح الفعل في الجملة (وكتاهما توجد من أجل شيء) في الحاشية وتحويل الفعل إلى مثنى (وكتاهما توجدان من أجل شيء)، مما يدل (وليس "ما يدل"، كما يختنونها في وسائل الإعلام العربي الحديث) على جهل المحقق بأصول اللغة التي يقوم بتحقيقها. وهذه ظاهرة مستشرية في أوساط المتخصصين العرب الذين إذا رأوا الصحيح ظنوه خطأ وتوهموه خطأً فصحوه بالخطأ الشائع، وراحوا يحاجون فيه ويمارون وينظرون. ولا عجب في أن يفهم العرب النصوص الإنجليزية أكثر من النصوص المترجمة إلى العربية. قارنوا المقطع السابق بالترجمة الإنجليزية الآتية تجدوا سهولة في فهم مقاصد الكلام.

Rhetoric is the counterpart of dialectic. For both treat of such things as are in a way common for all to grasp and belong to no delimited science. [Hugh- Lawson-Tancred]

Rhetoric is the counterpart of Dialectic. Both alike are concerned with such things as come, more or less, within the general ken of all men and belong to no definite science. [W. Rhys Roberts]

ومن ملامح الخلل في العربية المعاصرة بحكم التأثر بالصور المجازية في اللغات الأخرى والفوضى الفكرية العارمة قولهم: "ما هي الظلال التي ستركها غياب الرئيس عرفات؟". والمجاز كما قلنا في مناسبات أخرى هو تجوز اللفظ معناه الحقيقي إلى معنى غير حقيقي لوجود قرينة. فكيف يكون لما يغيب ظلال؟ فالمعنى الحقيقي منافٍ للطبيعة، فكيف يستقيم المعنى المجازي الذي يهدف إلى نقل الشبه من الحقيقة العلمية، وهي إلقاء الشيء ظله، وغياب الشيء الذي يلقي ظلاله؟ وكله بطاطا في سوق الخضار عند المترجمين والإعلاميين العرب الكبار! تأملوا بعض الأمثلة، واسألوا أنفسكم هل للغياب ظل؟

يبدو التفاهم في ظلال غياب هذه القائمة أكثر أهمية وجدية في حل تلك المسألة.

في **ظل غياب** شركات إنتاج موسيقي: الفرق السورية الشابة: ولادة مبشرة..
ولادة ثانية... فثالثة!

تحديات أمام الأمن العربي في **ظل غياب** التوازن...

أن الوضع الراهن يحمل في طياته إرباكا ما في **ظل غياب** الرئيس...

فإن تدبير الأمور في **ظل غياب** عرفات يبقى أحد الرهانات التي يتعين على
الفصائل التوحد فيها...

غياب الرئيس **ألقى بظلاله**....

وهذه العبارة مترجمة من اللغة الإنجليزية (in light/in the light of)، والتي تترجم أحياناً كثيرة بـ
(في أو على ضوء). وفي المثل الأخير من العبارة (...cast its shadows). والعبارة الأولى بشكل
خاص لها في الإنجليزية معنى اصطلاحي وتستعمل في أي سياق. ولا يتنافى استعمالها مع أي
فكرة أخرى تتلوها. أما العبارة المترجمة فليست اصطلاحية في العربية، نحو (اسقط في يده). بل
هي مجاز ينبغي أن يخضع لشروط المجاز في العربية وليس في أي لغة أخرى. وهي هنا من
الحشو الذي يمكن حذفه بكل سهولة. ولكن آلية النقل وفوضى الترجمة تنعكس دائماً في هذه
التعابير المنقولة على نحو سخيّف وهزيل.

ومن مظاهر الانحطاط اللغوي عندهم فقدانهم للدوق اللغوي السليم، إذ يصرون على التشدق بـ
(خلايا التذوق) و(براعم التذوق) و(حاسة التذوق) ترجمة حمقاء بلهاء خرقاء للمصطلحات
الإنجليزية (taste cells) و (taste buds) و (sense of taste) أو (gustatory sense). ويأنفون
من استعمال (خلايا التذوق)، ولا يعرفون الفرق بين التذوق والتذوق لجهلهم بلغتهم ولغة آبائهم.
جاء في المعاجم:

التذوقُ : مصد. - الحاسة التي تميّزُ بها خواصّ الأجسام الطعميّة بوساطة
الجهاز الحسيّ في الفم، ومركزه اللسان.

أما التذوق، فهو: ذَوْقُهُ وَالتَّلَذُّدُ بِهِ، وليس ذوقه فقط.

تَذَوِّقُ يَتَذَوِّقُ تَذَوِّقًا :- الشيءَ: ذاقه شيئًا بعد شيءٍ ؛ أَتَذَوِّقُ الطعامَ في أثناء طبخه لأقدرُ ملوحته. يَتَذَوِّقُ الموسيقى، أي يستمتع بجمالها.

فهل يتذوق الإنسان عندما يذوق؟ يأخذ لقمة ثم يبصقها، ثم يأخذ غيرها ويبصقها، ثم يمج غيرها ويبلعها. وهذه هي خلايا التذوق عندهم في إعلام غبي بلا ذوق!

ترتبط **حاسة التذوق** والشم ببعضهما البعض على نحو وثيق. فعندما يأكل الإنسان تنتقل جزيئات رائحة الطعام الموجودة في البلعوم إلى التجويف الأنفي حيث تُكتشف الرائحة.

لحاسة التذوق ومن المهم أن يكون الفم نظيفا ورطبا دائما.

تتغير **براعم التذوق** عند الطفل كل أسبوعين أو ثلاثة، لذلك حاولي تقديم الطعام الذي يرفضه طفلك مرة أخرى له بعد بضع أسابيع...

تصل جزيئات المادة إلى المستقبلات التذوقية الموجودة في **براعم التذوق**... مواد كيميائية تتأثر بها **براعم التذوق** الخاصة بالمذاق المر في مؤخرة اللسان...

تتجلى عند دراسة التشريح الدقيق **لبراعم التذوق**، وهي المستقبلات الحسية، التي تفرق بين المجموعات المختلفة من ناحية الطعم والتذوق ويبلغ قطر **برعم التذوق** ٣٠/١ مم وطوله ١٦/١ مم. ويتكون كل برعم من حوالي ٤٠ خلية طلائية تسمى **خلايا التذوق**، والتي تلتف نهاياتها الخارجية علي شكل خمائل دقيقة حول ثغور دقيقة، تسمى **ثغور التذوق**...

وتفوق كاتب النص الأخير بجمعه لبراعم وخلايا التذوق في نص واحد. ولا ندري من أي مدرسة خرجوا وتخرجوا. فحتى المدرسة الطهطاوية في الترجمة الحرفية لا أظنها تقبلهم. وفي عالم طائش غير مسؤول يغيب الرقيب الذاتي والوعي وتصبح اللغة بمثابة الطماطم النتنة والبيض الفاسد.

ومن الحرفية الحمقاء عندهم في عصر الانحطاط إصرارهم في كل مكان على استعمال لفظ (متورط) ترجمة حرفية متحجرة للفظ الإنجليزي (involved) دون مراعاة السياق العام للكلام. فنسمعهم يتشدقون في برامج وثائقية وترويجية بكل ثقة بلهاء تنم عن عدم فهمهم لمعنى الكلمة العربية، بالآتي:

جميع المالطيين متورطون في السياسة...

وفي هذا الاستعمال الطائش تعرض للنص الأصلي وافتقار للأمانة العلمية. فكما قد يعرف بعضهم، فإن اللفظ مشتق من الفعل (تورط)، وهو الوقوع في ورطة:

تَوَرَّطَ يَتَوَرَّطُ تَوَرُّطًا : وقع في الورطة، وهي الأمر الصعب يتعسر الخروج منه؛ تورط في ألعاب القمار. تورط في التعامل مع عصابة التهريب. **تَوَرَّطَ**: هلك. **تَوَرَّطَتِ** الماشية: وقعت في مكان يصعب التخلص منه.

فكيف يتورط المالطيون الذين يرون في السياسة عملاً مشروعاً ومشرفاً في بلادهم في السياسة؟ أوليس من الواجب استعمال (منخرط). ولقد أسقط هؤلاء المترجمون الفطاحل ألقاظاً مشابهة (عكف، انخرط، انصرف، اضطلع، الخ) من معجمهم المحدود أصلاً. ولطالما أتعبت كلمة (involve) المترجمين الأغرار واليافاعين. وتضاف إلى أختيها (enjoy) و (have). ومن المذهل والمخزي في أن معاً أن نرى فطاحل الإعلام العربي لا يستطيعون تجاوز الحرفية حسبما يقتضيه السياق. فبين تورط وتمتع وامتك، "زاد العمى كرساح"!

ومن جديدهم المقتبس في عصر الانحطاط الثاني تعبير "الزعيم الكارزمي أو الكرزمي"، تعريباً للعبارة الإنجليزية (charismatic leader)، أي القائد المهيّب والهيّوب. والهيّوب هو كذلك الجبان في كل شيء. والعامّة تقول (رجل هيّوب) بمعنى جذاب وفاتن. فجمعوا بين المهابة والجاذبية. وهذا من دلالات اللفظ الإنجليزي.

cha·ris·ma

(1) **a:** A rare personal quality attributed to leaders who arouse fervent popular devotion and enthusiasm. **b:** Personal magnetism or charm: a television news program famed for the charisma of its anchors. (2) *Christianity*. An extraordinary power, such as the ability to perform miracles, granted by the Holy Spirit.

إذاً اللفظ بمعنى الجاذبية والجلال والهيبة في آن معاً. والكرزمي في اللغة العربية مشتق في الأصل من الآتي:

كَرَزَمٌ يَكْرِزُمُ كَرْزَمَةٌ : أكل نصف النهار. ورجل مُكَرَزَمٌ قصير مُجْتَمِع. قال ابن بري : الكَرْزَمُ القَصِير الأنف. والكَرَزَمُ : فأس مَقْلُولة الحد.

والكَرِزَمُ الشدّة من شدائد الدهر، وهي **الكرازم** على القياس. والكَرَزَمَةُ أكلُ نصف النهار . قال ابن الأعرابي : لم أسمع له غير الليث. وَكَرَزَمُ اسم. قال الأزهري : وسمعت العرب تقول للرجل القصير كَرْزَمٌ، يصغر كَرْيَماً ابن الأعرابي: الكَرْزَمُ الكثير الأكل.

وهي كلها بلا شك أوصاف تجتمع في القادة والزعماء الكرازم في بلاد الاستنماء.

ومن الأثر الأجنبي في اللغة العربية المعاصرة أيضاً، تبني الإعلاميين والمترجمين منظور الفتح والغلق في تعابير مترجمة حرفياً عن الإنجليزية، نحو: **فتح تحقيقاً** ترجمة لـ (open an investigation).

وزارة الدفاع الأميركية **تفتح تحقيقاً** في اختفاء المتفجرات العراقية...

وقال الجيش الأميركي أمس الأول انه **فتح تحقيقاً** حول قتل الجريح وانه تم تعليق مهام الجندي.

وقالت وكالة الأنباء إنه تم انتشار الجثث الـ ٤٨، فيما **فتح تحقيقاً** حول أسباب الانفجار، بحسب ما نقلته وكالة الأسوشيتد برس.

وهذا من الأخطاء في المتلازمات من الكلمات. فلم تعرف العربية (فتح تحقيقاً) إلا بعد تأثر المترجمين الراشدين بالمصطلحات الأجنبية وتلازم الكلمات للكلمات فيها، دون وعي ودراية، وذلك لغياب المنهجية الواعية والعلم بأصول الترجمة وأسسها والفروق بين اللغات وافتقار معظمهم إلى الحس اللغوي. فلو نظرنا إلى معنى (التحقيق) في العربية، لوقفنا على الآتي:

التَّحْقِيقُ : مصـ:-: الإثبات بالدليل والبرهان

فكيف يُفتح الإثبات بالدليل والبرهان؟ والمشكلة أنهم "يفتحون" تحقيقاً ولا يغلقونه. ولو نظرنا كذلك إلى المعاني الاصطلاحية للفظ (open) في الإنجليزية لوجدنا فيها معنى الشروع في الشيء، والمباشرة والبدء. وهذا هو المقصود من (open an investigation).

Open: [...] (7)

- (a) To get (something) going; initiate: open a campaign.
- (b) To commence the operation of: open a new business.

وكما اتضح، فإن معنى (open an investigation) هو الشروع في التحقيق وليس فتحه. ولكن المهرجين الإعلاميين يصرون دائماً بلا وعي أو تفكير على الحرفية المطلقة، لا حياً في التسهيل والتيسير، بل جهلاً بأصول اللغة والترجمة. ولقد فعلوها أعجمية هنا كما في (عملية القلب المفتوح). ويمكننا بكل سهولة تعديل الأمثلة السابقة كالآتي:

وزارة الدفاع الأميركية **تبدأ تحقيقاً** في اختفاء المتفجرات العراقية...

وقال الجيش الأميركي أمس الأول انه **باشراً تحقيقاً** حول قتل الجريح وانه تم تعليق مهام الجندي.

ولكن عقدة التنطس الفكري والترف اللغوي لا تسمح لهم بذلك، ففي نفوسهم الدليلة حاجة إلى التقليد الأعمى على حساب الثوابت اللغوية والقومية. ولا ضير في استخدام اللغة بشكل مغلوط، فهذا في عقولهم المحدودة جزء من التقدم والرقي والانبطاح والاستلاب. والألفاظ (شرع وباشراً وبدأ) أضحت من الماضي. ولعلنا نسمعهم بعد قليل يبحثون عن "المسدس المدخن" دليلاً قاطعاً على جهلهم المطبق وقصر نظرهم المقيت، وإعمالاً في الدعارة اللغوية.

ويلاحظ هنا عجز المترجمين والإعلاميين المترجمين العرب بشكل فاضح عن استيعاب مجمل المعاني والتعامل السليم مع اللفظ الإنجليزي (open)، وافتقارهم إلى الليونة والسلاسة في تكيف ترجماتهم وفقاً لما يقتضيه سياق الكلام.

ومن عشوائية النقل عندهم اختفاء التوازن والتوازي في كلامهم، فتسمعهم يقولون: مقتل وجرح ثلاثة جنود أميركيين في بغداد. وقد أفردوا لفظ (مقتل) لمن يقتل، واستعملوه بمعنى (القتل)، وأفردوا لفظ (مصرع) لمن يلقى حتفه في حادث سير أو ما شابه. فتوهموا أن (مقتل) هو القتل نفسه، وهو مكان أو زمان القتل. وتوهموا أن (مصرع) هو الموت لأسباب طبيعية أو حادثة. ولكن

(المصرع) هو الموت صرعاً أو قتلاً، لا فرق بينهما. ويدعم هذا الرأي قول حفيد الرسول الكريم (ﷺ)، والشواهد كثيرة على ذلك:

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مسلماً | على أيِّ جنبٍ كان في الله مَصْرَعِي

ولم يقل مقتلي. جاء في المعاجم:

صَرَعٌ يَصْرَعُ صَرَعاً : صَرَعَهُ: طرحه على الأرض استلقاءً؛ صرعَ الملائمُ خصمه. **صَرَعَتَهُ المَنِيَّةُ:** قضت عليه. صرعت الريحُ الشجرة، أي أمالتها إلى الأرض. صرع الجاهل جهله، أي قتله. - الشُّعْرُ: جعله ذا مِصْرَاعَيْنِ. - البابُ: جعل له مِصْرَاعَيْنِ. صرَعَ الرَّجُلُ، أي أصابه الصرَعُ. ولَقِيَ مَصْرَعَهُ: لَقِيَ القَتْلَ والاغْتِيَالَ.

ولا يستقرون على صيغة واحدة. وما يهمنا هنا أنهم يصرون على القول (مقتل) و (جرح). وهذا مخل للتوازن في المعنى والبناء الإنشائي. فلو سلمنا باستعمالهم المغلوط ل (مقتل) بأنه القتل نفسه، وجب استعمال لفظ يوازيه "كمجرح"، على القياس، نحو: مقتل ومجرح ثلاثة جنود أميركيين في بغداد. فإذا كان المقتل مكان وزمان وحال القتل ونتيجته، وجب تطبيق هذه الشروط ذاتها على فعل الجرح. فمن الخلل المنطقي القول مقتل وجرح، فالمقتل لازم غير متعدد، والجرح متعدد. فكيف يستقيم المعنى؟ فهناك قفزة منطقية من اللازم وهو نتيجة القتل وحاصله إلى المتعدي وهو فعل الجرح وإيقاعه وإنزاله. ومن هنا تتضح سخافة استعمال (المقتل) بمعنى القتل أو فعل القتل. وكان حرياً بأولئك المتطفلين على اللغة والترجمة والإعلام أن يقولوا:

قتل وجرح ثلاثة جنود أميركيين في بغداد. أو
مقتل ومجرح ثلاثة جنود أميركيين في بغداد. (*)

على القياس تحقيقاً للتوازن. ولكن الخلل ضارب في أعماق خلايا أدمغتهم المتصدعة وأنسجتها المتصلبة فيحول دون تحقيق التوازن المنشود. ولا شك أن هناك خللاً في فهمهم لمفهوم اللازم والمتعدي، فهاهم يقولون، ولا يعرفون الفرق بين التسمم والتسميم.

والدلائل التي تؤكد **تسمم** عرفات...

تزايدت أمس احتمالات **تسمم** الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات...

أعلن هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح أن فرضية **تسمم** الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أمر بات واردا ...

التقرير الفرنسي لم يشير إلى احتمال **تسمم** عرفات..

فالتسمم هو: ما يحدث من أعراض ناجمة عن تسرب مواد سامة إلى الجسم؛ إما سهواً أو خطأً أو إهمالاً. **تَسَمَّمَ يَتَسَمَّمُ تَسَمُّماً**: أصابه السمُّ. أما التسميم فهو مصدر الفعل **سَمَّمَ**: سَمَّهُ وسقاه السم، فهو متعدٍ. ولا شك أن القصد هو التسميم وليس التسمم. فعلام الضجة الكبرى إذا كانت الوفاة نتيجة التسمم لا التسميم؟

ومن أثر الترجمة الحرفية عندهم كذلك، استعمالهم للفظ (الرفات) بمعنى (remains) في وصف من ماتوا للتو. فتسممهم يقولون:

دفن **رفات** ٧٠ من ضحايا الفلوجة في بلدة الصقلاوية...

ولما يمض بعد على موتهم أيام. فتوهموا أن (الرفات) البقية الباقية من أجساد الموتى. والرفات: الحطام من كل شيء تكسّر.

رَفَّتْ يَرِفْتُ رَفَاتًا: انكسر وتحطّم وصار رُفَاتًا. و - انقطع. و - فلان الشيء: كَسَرَهُ ودَقَّهُ وصَيَّرَهُ رُفَاتًا. الرُّفَاتُ: الحطامُ والْفُتَاتُ من كلِّ ما تَكَسَّرَ وانْدَقَّ.

فكيف تكون أجساد وجثث وأشلاء من ماتوا في القتال والقصف والغارات الجوية رفاتاً، ما لم تكن القوات الأميركية قد استعملت أسلحة حديثة رفتتهم رفاتاً فتحول الناس إلى رفات وحطام وفتات؟ ولكن المترجمين في وسائل الإعلام العربي في عصر الانحطاط "الحديث" يرون كلمة (remains) في المصادر الإنجليزية فيترجمونها بعشوائية وطيش وجهل وغباء برفات. {وَقَالُوا أُنْذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَنْبَعُوثِنَا خَلْقًا جَدِيدًا}.^{٢٩}

ومن ملامح التأثر باللغة الإنجليزية صيغة الفعل اللازمية (non-temporal tense). وصيغة الفعل اللازمية هي إلا يكون الزمن عاملاً أساسياً في الجملة. وقد جرت العادة في اللغة الإنجليزية إذا انقضى عهد أمر أو قضى أحدهم نحبه أن يصفه المتكلم بصيغة الفعل الماضي، نحو: (I loved her). أما العرف في العربية هو عدم انقطاع الصلة بالفقيد بمجرد موته، فلا يقال: "أحببتها" أو "كنت أحبها"، بل "أحبها". ولكننا نجد العرب اليوم، في عصر الانحطاط الثاني، خلافاً للعرف، ينسخون هذا الاستعمال في ترجماتهم وأخبارهم المترجمة بـ (أحببتها)، أو (كنت أحبها)، تماماً كما يفعل أهل اللغة الإنجليزية. ومن هذا القبيل كذلك قولهم: توفي عن عمر ناهز السابعة التسعين، بدلاً من (عن عمر يناهز السابعة والتسعين)، في ترجمة للجملة الإنجليزية: (he died at the age of 79).

الشاعر والكاتب المسرحي عبد الحميد خريف الذي توفي عن عمر ناهز الخمسة وخمسين عاماً...

وفي الشهر نفسه فجعت الساحتان الفلسطينية والعربية برحيل الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان عن عمر ناهز الـ ٨٦ عاماً...

توفي عرفات عن عمر ناهز الخامسة والسبعين...

ويكمن الخلل في هذا النقل الأعور في أن العمر في العربية حقيقة لا تتغير بتغير المدلول الزمني للفعل، سواء أ مات الرجل منذ قرون خلت أم اليوم فالفعل (يناهز) يصف العمر بمعزل عن زمن الموت. ومن الملاحظ في هذا السياق أيضاً استعمالهم للفعل (ناهز) رغم وفاة الشخص في عمر محدد. وسواء أ مات الرجل في الخامسة والسبعين أم في السادسة والثمانين فلا بد من اقتران العمر بالفعل (ناهز) عندهم. فلعلهم لا يعرفون معنى الفعل (ناهز) أو يلتبس عليهم الأمر بين (ناهز) و(النهاز). فنَاهَزَ يَنَاهِزُ مَنَاهِرَةً: الأمر: داناه وقاربه، والنَّهَازُ (بكسر النون أو ضمها): الرُّهَاءُ. نحو هذا نَهَازُ ذاك وَعُمُرُهُ نُهَازُ سَنَةً، أي مقدار سنة. ومن ملامح جهلهم أيضاً في عصر الانحطاط الثاني، إصرارهم الأحمق على حرفية نقل التعابير الاصطلاحية كما في المثال الآتي:

It made me happy جعلني سعيداً

بدلاً من القول بكل بساطة (أسعدني). فخلافاً لاعتقادهم الأحمق، فتلك طريقة اللغة الإنجليزية في التعبير بالفعل المركب. أما العربية فتجنح إلى استعمال الفعل الكامل للتعبير عن الشيء ذاته. ومن السخافة والجهل والضعف القول (جعلني سعيداً). ولو وجدت الإنجليزية سبيلاً إلى التعبير عن ذلك بفعل كامل واحد في سياق مناسب لفعلت، نحو (gladden). فهي تأنف كذلك من "الفعل المخنوق" المركب، أو كما يسمونه فيها (smothered verb).

ثم يكتشفون أنهم في غيبوبة فكرية ولغوية فنسمعهم يقولون: دخل غيبوبة، ودخل في حالة غيبوبة.

وقالت هيئة الإذاعة البريطانية حسب ما ذكرت صحيفة "ايلاف" الالكترونية أن الأطباء في مستشفى الملك فيصل التخصصي تمكنوا من إنقاذ حياة غاردرنر بعد أن **دخل في حالة من الغيبوبة** بعد إصابته، وأضافت أنه يستطيع رؤية ما حوله وتمييز الأشياء والناس والتعرف عليهم ، لكنه غير قادر على الكلام بسبب وجود أجهزة طبية في حنجرته وأنفه.

قبل يومين من **دخوله في الغيبوبة** وكانت رسالة بليغة إلى حكيم العرب...

وبالرغم من مظاهر التحسن يبدو أن الرئيس الأوغندي السابق مازال يغط في سبات عميق منذ **دخوله في الغيبوبة** مساء الجمعة، بحسب المصدر ذاته.

وهو مترجم من الإنجليزية (lapse into a coma). والغيبوبة لغةً هي الغروب والغياب. جاء في المعاجم:

الغَيْبُوبَةُ: مصـ:- فقدان الوعي مؤقتاً؛ أفاقَ المريضُ من غيبوبته، **الغَيْبُوبَةُ**: الغروب؛ لقبته عند غيبوبة الشمس. غابَتِ الشمسُ وغيرها من النجوم ، مَغْيِباً وغياباً و غيوباً و غيبوبة و غيوبةً عن الهَجْرِي : غَرَبَتْ. [محيط المحيط ولسان العرب]

فكيف يدخل المرء في حالة غيبوبة والغيبوبة هي حالة الغياب؟ و غَابَ يَغْيِبُ غَيْباً وَغَيْبَةً وَغَيْبُوبَةً وَغَيْبَاباً: نَأَى عَنِ الْعَيْنِ أَوْ الْبَالِ، خِلافَ شَهِدَ وَحَضَرَ. فهل يدخل المرء أصلاً في الغياب؟

ومع استلابهم بالترجمة الحرفية يفتقدون الكياسة الحضارية فيخفقون في تعديل الأخبار المنقولة حتى تتلاءم مع الخصائص الحضارية عند العرب، فتجدهم يقولون بكل فجاجة وسماجة، رغم اتساحهم بوشائح الحداد: في حال **موت** الرئيس عرفات. بدلاً من وفاته، تلطيفاً وتخفيفاً للمصاب الجلل. ثم يستدركون ذلك لاحقاً. فلا يعرفون متى يستعملون اللفظ المخفف والتورية واللفظ الحقيقي، فيقولون وفاة عرفات دماغياً. وهي ترجمة خرقاء للتعبير الإنجليزي (brain dead) أو (clinically dead)، والتي يترجمونها كذلك بموت سريري. ولو نظرنا أولاً إلى المصطلح الإنجليزي (brain dead) وتعريفه التقني، لوقفنا بكل بساطة على الآتي:

brain dead (adj)

having irreversible loss of brain function as indicated by a persistent flat electroencephalogram; "was declared brain dead"

أي توقف أو فقدان وظيفة الدماغ. فكيف يموت المرء دماغياً؟ بل كيف تكون الوفاة دماغياً؟

إن الوفاة من توفى بمعنى الوفاء وإتمام الشيء والأجل. **تَوَفَّى** المَدَّةَ : بَلَغَهَا وَاسْتَكْمَلَهَا. **تُوَفِّي** فلان **وتَوَفَّاهُ** الله إذا قَبَضَ نَفْسَهُ بعد إتمام أجله، **وتَوَفَّى** الميت هو اسْتِيفَاءُ مَدَّتِهِ التي وُقِيَتْ له وَعَدَدَ أَيامِهِ وشُهوره وأعوامه في الدنيا. فكيف تكون الوفاة دماغياً والمريض لم يموت بعد ولم يستوف بعد أجله؟ أما الموت فهو بالطبع ضد الحياة وهو فقد ما يختص به الإنسان أو الشيء.

مَاتَ يَمُوتُ مَتًا مَوْتًا: الرجلُ: حلَّ به الموتُ وفارق الحياةَ . **مَاتَ**: فَقَدَ ما يختصُّ به؛ نحو: مات حسُّه الفنيُّ. ومن المجاز: ماتتِ الرياحُ أي سكنتُ وماتَ الثوبُ أي بلي، ومات الحرُّ أي زال، وماتت النارُ أي بردت.

فكيف يتوفى الإنسان دماغياً؟ أفليس في ذلك تناقض في مفهوم الموت والوفاة؟ غير أن الإعلاميين الصناديد والمترجمين الفطاحل الذين يأبون التغيير ويصلبون في عاداتهم السيئة لا يعرفون الفرق بينهما وبين العام والخاص من الألفاظ. وهذه المواقف البسيطة تظهر مدى ضعفهم وافتقارهم إلى الوعي اللغوي والذكاء! فتخالهم قد تخرجوا من مدرسة الحمقى للترجمة العربية بتفوق وامتيار وترخيص من عميدهم الذي علمهم الترجمة. ورحم الله الشاعر حين قال:

وما حُسْنُ الرجالِ لهمُ بحسنِ	إذا ما أخطأ الحسنُ البيانِ
كفى بالمرءِ عيباً أن تراه	له وجهٌ وليس له لسان

ومن مظاهر الانحطاط وملامح الاستلاب عندهم استعمالهم للتعبير (على خلفية)، والذي عرضنا له (وليس إليه) في مناسبة أخرى عرضاً سريعاً. وهو مترجم ربما من التعبير الإنجليزي (against the backdrop of...) أو (against the background...). ولكن ماذا يعني هذا التعبير الأجوف بالتحديد في العربية؟ وما هي النواحي الجمالية والبيانية والبلاغية والبديعية فيه؟ وما سر تعلق الإعلام العربي به وتفشييه بينهم؟ تأملوا الأمثلة الآتية للتعبير الجديد والابتكار الإبداعي في عالم الصحافة والإعلام الأخرق من المحيط إلى الخليج وما وراءهما في جنون جامح كاسح وهستيريا لغوية شاملة (mass hysteria).

اعتقال ثمانية على خلفية مقتل المخرج الهولندي...

مصر تخضع ١٣ شخصا للمراقبة على خلفية تفجيرات سيناء...

على خلفية إقرارها قانون معاداة السامية: إدارة بوش وسياستها الإسرائيلية...

اعتقال مواطن على خلفية اتصال هاتفية...

قتل النساء على خلفية شرف العائلة...

اعتقال ٥ إسرائيليين في الأرجنتين على خلفية أعمال إجرامية...

اعتقل في العام ١٩٩٨ في مدينة ميونخ الألمانية وسلم إلى أميركا على خلفية تفجيرات مركز التجارة العالمي عام ١٩٩٣.

إسرائيل تعتقل عالما نوويا على خلفية علاقته بامرأة روسية

ويكثر استعمال هذه العبارة السمجة الغليظة البشعة بمسوغ وغير مسوغ وفي سياق مناسب وغير مناسب. والكل يكرر ويردد بكل صفاقة وحماسة هذا التعبير الغريب ويفرح به فرح الطفل بالعيد، ويظنونه أنيقة لغوية. ولكن هذا الاستعمال لا يدل إلا على فقدان الوعي والحس اللغوي والدوق عندهم. ولا غرو في بلاد متخلفة لا ترى من الوجود إلا الخلفيات والمؤخرات والأدبار! ولكن بالله عليكم هل من يداني إلى معنى هذه العبارة السخيفة؟ ومن أين أتوا بها وكيف انتشرت بينهم كالطاعون والأود؟ وأوردها معجم المحيط كالاتي:

الخلفية :- في الرسم والتصوير: أرضية اللوحة التي منها تنفصل الصور. خلفيات الموضوع أو نحو ذلك، هي المقاصد الخفية منه.

فمن أين أتوا بمعناها الجديد إن لم يكن بفعل الترجمة الحمقاء؟ فلم يعد للتعبير (عقب) أو (في أعقاب) أو (بُعِيد) أو (أثر) مكان عندهم. وهذا موضوع خلافي على خلفية التخلف العقلي والفكري واللغوي الذي أصابهم. فمن مظاهر التغيير عندهم أيضاً استعمالهم للتعبير (موضوع خلافي) نسبة إلى الخلاف. تأملوا الأمثلة الآتية، وانطقوا لفظ (خلافي) بضخامة الخاء واللام والفاء، وأنتم تجلسون على حافة الكرسي، كما يفعلون، ولكن حذار أن تقعوا عن الكرسي.

لأن موضوع العراق داخل العالم العربي **موضوع خلافي**.. ونحن نستعد لمؤتمر قمة عربية...

وكانه ليس هناك أي **موضوع خلافي** بينكما، فتستعيد الثقة في علاقتك بها، وأنت تحبينها لشخصها، وأن الرفض هو للفعال السيئة وليس لشخصها...

هذا **موضوع خلافي** بين الفقهاء الحديث عنه يطول ويرجع إليه من شاء ذلك إلى كتب الفقه بل إلى كتب الفروع...

فظن بذلك أن الولاء والبراء **مسألة خلافية** وما علم أنه من أصول العقيدة المحمدية وثوابت الملة الحنيفية...

لم تعد القضية الفلسطينية **مسألة خلافية** بين اللبنانيين ...

إيران **مسألة خلافية** في الولايات المتحدة...

وهذا التعبير ومشتقاته، والذي يبدو أنه مترجم من العبارة الإنجليزية (disputable issue/matter) من مظاهر اختفاء الإضافة اللفظية من أثر الترجمة الحرفية والاستلاب بالنعته والمنعوت في اللغة الإنجليزية وربما الفرنسية، فبدلاً من قولهم (موضوع خلافي) صار الجميع يهذي ب (موضوع خلافي) و(وضع كارثي) و(حادث مروري). ويختلط الحابل بالنابل بين الخلاف والخلافة؟ ولعل الفرق بينهما بسيط فكل خلافة تجر خلافاً بينهما وتناحراً. أفلا يقتضي التواصل

الفعال وضوح الكلام ورفع اللبس والغموض، أم أن وظيفة الإعلام الذي يفاخر بمواثيق الشرف المهني ومبادئه هي المعمعة والبلبله اللغوية بحجة التجديد وبفعل الاستلاب بالترجمة الحرفية بلا وعي وإدراك؟

ومن مظاهر الحرفية التي لا تؤدي المعنى الأصلي ذاته قولهم: سحب البساط من تحت قدميه، ويتكرر هذا التعبير المترجم من التعبير الاصطلاحي الإنجليزي:

**Pull the rug (out) from under one's feet/under one.
Pull the carpet (out) from under.**

وهو تعبير مجازي غير رسمي في اللغة الإنجليزية بمعنيين متداخلين:

(١) أخذ المرء على حين غرة، بحرمانه من موقف أو مركز متفوق

**To take one's opponent by surprise by suddenly depriving him
of his advantage.**

(٢) حجب الدعم أو المساعد بصورة مفاجئة.

**To stop giving important support or help to (someone),
especially without giving any warning.**

ورغم انتشار هذا التعبير المقترض في الترجمة والنصوص العربية المعاصرة والتي تعتمد الترجمة مصدراً رئيساً لها، من الواضح أن هناك تضارباً واختلافاً في الاستعمال والمعاني المقصودة به. فهل يفهم القارئ معنى (سحب البساط من تحت القدمين) في العربية بمعناه الإنجليزي؟ الأمثلة الآتية تثبت عكس ذلك.

نجح في سحب البساط من تحت قدميها ولم تكذب تبلغ المائة يوم حتى سلمت أوراقها...

وسيطر تايسون على الجولة الاولى من المباراة ولكن وليامز رد بعدة لكلمات قوية وبدأ ببطء في سحب البساط من تحت قدمي تايسون البالغ من العمر ٣٨ عاماً...

ومع أن قريع لا يطلب تغييره بل ولا يتعهد بمكافحة الإرهاب . فقد سحب عرفات فوراً البساط من تحت قدميه...

نعم كان هذا شعوره بأن البساط سحب من تحت قدميه...

قبل أن يتم سحب البساط من تحتنا...

بهذا أن تتبوأ المكانة اللائقة بها بدل أن يسحب البساط من تحتها...

فبات كأنه سحب البساط من تحته ورفع الغطاء من فوقه فوجد نفسه في وضع مائع إن لم يكن في ما يشبه الرمال المتحركة...

وتواطئوا على سحب البساط من تحت القرآن وسلخ صفته ككتاب فلك وعلم ونسبته بالفلسفة والبساطة والبدائية...

حيث تراجع علي المستوي العربي بعد أن تفوقت عليه كتب بعض الدول التي لا تعاني من أعباء ضريبية أو جمركية وسحبت البساط من تحت أقدامه...

القرار يُمثل سحب البساط من طرف الحكومة لو أرادت أن تحدث أي شيء يُعرقل سير العريضة ...

وتفقد هذه النصوص كلها عنصر المفاجأة الذي يتضمنه التعبير الإنجليزي الأصلي. ويصبح الكلام مجرد حشو لا معنى له ولا فائدة. ويتساءل المرء عن سر التعلق بهذا التعبير الهزيل الذي يزيد في تشويش التواصل ويضعف الكلام. وما سر جبروته وسطوته على عقول المترجمين والكتبة والمستكتبين؟

ومن مظاهر استلابهم بلغة الإنجليزية ومنهج الترجمة الحرفية ولم يتخرجوا بعد من المدرسة الطهطاوية في الترجمة الحرفية، استخدامهم للتعبيرين: بؤرة الشك وبؤرة الانتباه. وهما مترجمان ترجمة حرفية حمقاء من (focus of suspicion) و (focus of attention) تبعاً. فوجدوا في المعاجم الثنائية لفظ (focus) مترجماً بـ (بؤرة)، فظنوا أن كل تعبير إنجليزي يحتوي على ذلك اللفظ هو بؤرة. وهذا ليس دليل إبداع أو خلق أو ابتكار، وليس دليل عبقرية بل هو عرض من أعراض العبودية اللغوية والفكرية، والجذب في عقولهم البور وأذواقهم البورية، {وَكُنَّا قَوْمًا بُورًا}. ولقد قالت العرب قبل هذا التقهقر الحضاري واللغوي، محط اهتمام ومحط آمال وموضع ثقة. ولكنهم اليوم بذوقهم الرفيع يلجأون إلى غليظ الكلام وثقله فيؤثرون (بؤرة) لأنها تساعدهم على تخفيف التضخم في عقولهم بتضخيم الحروف والأصوات عند نطقها... بؤرة! هاكم فلاسفة الإعلام وعباقرة الترجمة يتحدثون مرة أخرى:

ما في شك أن سوريا الآن في بؤرة، **بؤرة الشك** وهناك نوع من الغزل غير الودي بينها وبين واشنطن...

وهو ما يعني أن العملية وقعت تحت **بؤرة الشك**...

أفغانستان تعتبر **بؤرة اهتمام** المهام...

وخلق **بؤرة توتر** جديدة ستمتد آثارها بالتأكيد إلى أقطار أخرى...

والطريف في المثال الأخير أن الكاتب جمع بين ثلاثة ألفاظ حرفية (خلق) و (بؤرة) و (توتر) مترجمة من (create a new focus of tension). ولم لا؟ فهم أصبحوا كلهم يخلقون خلقاً ويصنعون صنعاً. ولا يعرفون أن اللام في المضارع يخلق مضمومة وليست مكسورة. (يَخْلُقُ لَا يَخْلُقُ). ولم تثبتها المعاجم كلها إلا بالضم. { إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا }^{٣٠}

وتسمعونهم يقولون أيضاً، وبشكل عادي وطبيعي، ولا يستشعرون خلاً ولا يدركون عطلاً في أدمغتهم الخدرية: "قد تأتي الانتخابات بدماء جديدة". وهي ترجمة حرفية حمقاء للتعبير الإنجليزي (new blood). ويجمعون (الدم) في المصطلح على (دماء) إعمالاً في الحماقاة. ويتوهمون أنهم ينقلون المعنى المجازي بصورة صحيحة إلى مشاهديهم، الذي يضطرون إلى فهم تلك الحماقات اللغوية عبر ولوجهم اللغة الإنجليزية، ذلك إذا كانوا على اطلاع عليها وعلى دراية بتلك المصطلحات والتعابير المقتلعة من بيئتها والمزروعة غصباً في البيئة العربية. وكلهم صاروا

عمال ضخ للدماء في بلاد تسفك فيها الدماء وتنتهك الأعراض، ولا يتحرك لهم ساكن. تأملوا الأمثلة السخيفة المضحكة الآتية:

وفي مقدمة ما توصل إليه أنصار الفريق ضرورة ضخ دماء جديدة على كافة المستويات الإدارية...

هناك الشباب المتعلم والقادر على الحوار، هناك دماء جديدة تريد إتاحة الفرصة لتقول كل همومها وهي كثيرة، وأضع هنا بعض مشكلات الشباب...

وكل العاملين في الحقل الإعلامي، يعد بضخ دماء جديدة ويدعم رصيد الخبرة والتجارب ...

اختار ضخ دماء جديدة في نفس الحزب...

وأن السبيل إلى تجديدها هو بالالتحام بقطاعات جديدة ومتجددة من أبناء شعبنا لنضع دماء جديدة إلى الحياة الوطنية والسياسية....

الآباء المؤسسون حرموا جيلين من الحياة وعليهم ضخ دماء جديدة بأحزابهم....

وهذا الأخير لا يعرف الفرق بين حرف الباء و(في). فهل يضحون الدماء الجديدة بواسطة أحزابهم أم في أحزابهم؟

ثم يتحدثون عن التحرر والتحرير والاستقلال والسيادة وحق تحقيق المصير، وهم غارقون إلى "شوشتهم" في الاستعمار اللغوي والاستلاب الحضاري. وقد يتفهم المرء هذه النواحي اللغوية لو أنهم اقتصروا في عملهم على الترجمة، فلهم عذرهم إذ لم يتوافر لهم من يعلمهم الطرائق السليمة والراشدة والناضجة في الترجمة. ولكن العيب يكمن في أنهم يكتبون وقد تبرمجت عقولهم بهذه الطريقة وجبلت سليقتهم بالمستورد الضعيف من اللغات الأخرى. فتجدهم وقد انغمسوا إلى أذانهم في نصوص إنجليزية من وكالات أنباء أجنبية يحاولون فك طلاسمها فلا يستطيعون سوى نقلها حرفياً، في عصر السرعة ونقل الحدث من قلب... عفواً، من بؤرة الحدث. فلا يعيرون انتباهاً الاستعمال الفاضل في اللغة، أو ما يسمى في الفرنسية بـ (le bon usage). وهذا دليل

استلابهم المطلق، وغبائهم الذي تدل عليه ترجماتهم الحرفية المغرقة في السخافة والتفاهة. ولا يسعنا هنا سوى أن نقول لهم بالإنجليزية، فلعلهم يفهمونها أكثر من لغتهم العربية.

Grow up, people! Just grow up!

ومن موروث عمالقة الأمم المتحدة تسميتهم البلدان التي تسعى إلى النماء بالبلدان النامية، ترجمة لـ (developing countries). والنامي لغةً هو غير الصامت الجامد من الأشياء. والأشياء كلها على وجه الأرض نامٍ وصامتٌ: فالنامي مثل النبات والشجر ونحوه، والصامت كالحجر والجبل ونحوه. والنامية من الإبل: السميئة. والنامية: القضيْب الذي عليه العناقيد. والنامية خلقُ الله تعالى. وسواء أكانت البلدان متقدمة (advanced countries) أو (developed countries) كما يسمونها أحياناً، أم نامية، على حد قولهم، (developing countries) فهي كلها نامية، لأن البلدان المتقدمة لم تتوقف عن النماء، ولم يكتمل نموها بعد. فما تزال تسعى إلى درجات أعلى من النمو والنماء والتطور. فكما تقول الحكمة الصينية: "من يتوقف عن تحصيل العلم يتوقف عن النمو، ومن يتوقف عن النمو يموت". لذا وجب تسمية البلدان التي تنشد النماء ولم تصل إلى مرحلة متقدمة منه أو ما تزال في الأطوار الأولى منه بالبلدان المستنمية. وهذا ليس من باب التهكم أو الإهانة والاستخفاف، وليس تصحيفاً للفظ آخر، رغم ما ينطبق عليها من معانيه الكثيرة. بل العكس هو الصحيح. ذلك أن تسمية بلدان العالم الأول بـ (developed countries) هو الكبر والاستعلاء بعينه. فما هو وجه التقدم والتطور الذي يتحدثون عنه؟ التقنية أم الاقتصاد أم النظم الإدارية أم الحضارة؟ وهذه هي العنصرية اللغوية بعينها التي يكرسها مترجمو الأمم المتحدة الفطاحل.

ومن أمارات التخلف العنصري التي تتجلى في كلامهم في عصر الانحطاط الثاني قولهم مؤخراً (العراق يحتفل بمقتل الإمام علي) في فضائيات تدعي الحرص على الوفاق والوئام بين الطوائف والملل وتترفع وتعف عن الأوجه السياسية للمذاهب المتفرقة والمتشعبة، وتتبنى المنظور الوسطي. فكل فرد في الأرض المحتلة يستشهد سواء أكان يناضل أم ينام في بيته أم يدرش على الهاتف النقال أو الإنترنت أو يبصص على ابنة الجيران (ولا مشكلة في ذلك في شعب عانى ما عاناه وناضل وكافح عقوداً طويلة وما انفك يضحى بالغالي والنفيس لاسترجاع أرضه وإقامة وطنه). أما ابن عم الرسول الكريم والفدائي الأول في الإسلام وعند العرب فيشار إلى استشهاده بكل صلف وصفاقة بالمقتل. فهنيئاً لقوم لا يعقلون. وقد يفهم المرء ويتفهم تلكؤهم وترددهم في وصف من يلقي مصرعه في العراق بالشهيد. فهم ما زالوا في انتظار فتوى من البيت الأبيض ومرسوم وترخيص وتصريح يسمح لهم بذلك (ولا غرو في أن نقرأ عبارة "القوات العراقية المقاومة" في صحيفة النهار ونسمعها تنطق "القوات العراقية المتمردة"). أما أن يتجاوزوا ذلك

إلى الأئمة الصالحين فهو أمر ممجوج أخرق تعوزه اللياقة واللباقة والكياسة والاحتراف المهني والصفاء الذهني والسريرة الطيبة والحياد. والخيثون للخيثات!

وكذلك الحال في الأخبار التي تتعلق برجال الدين المسيحي، فتسمعهم يقولون في صلب الخبر لا عنوانه (صفيير يعارض التمديد للرئيس لحد) بدلاً من القول (غبطة البطريرك صفيير). فكأن المديعة كانت زميلته في المدرسة، وهما صنوان وبمستوى واحد. وهذه الأمور والنواحي التي تعرف بأصول التشريفات أو (honorifics) تخضع للمزاجية وأحوال الطقس عندهم، فإذا غضبوا على أحدهم جردوه من ألقابه، فعلى سبيل المثال كانوا يقولون (رئيس الوزراء العراقي المؤقت الدكتور إياد علاوي)، ثم غضبوا عليه فجردوه من لقب (الدكتور) في بلاد تعلق أهمية كبرى على الألقاب. ولا نورد هذه الأمثلة من منطلقات ومواقف، فهذا لا مجال له في تحليلنا ولا علاقة لنا به إطلاقاً، بل نظهر فيها، بكل تجرد وموضوعية وحرص وغيره على المستويات، الخلل المهني الذي يشوب ممارسات الإعلاميين والمترجمين في عصر الانحطاط الثاني. ولا يخشى النقد سوى الضعفاء والجهلة.

ومن السداجة والسخافة والعبث أن تدعي وسائل الإعلام العربي أنها تلتزم الحياد المهني وأنها لا تحابي نهجاً على حساب آخر. فناهيك عن الحقيقة الثابتة بأن مجرد خروج كيان معين إلى حيز الوجود فإنه يكتسب انحيازاً طبيعياً تلقائياً لشيء ما، فالمدقق في ألفاظهم وتعابيرهم وما يتشدقون به يدل دلالة قاطعة على نهج منحاز، لا في محتواه فحسب ولكن في دلالاته الضمنية. وما زلنا نحاول استيعاب مغزى استضافة عضو عربي في الكنيست الإسرائيلي للتعليق على نتائج الانتخابات الرئاسية الأميركية وانعكاساتها على العلاقات العربية الأميركية، وما العبرة من ذلك!

ويعزى إلى الإمام الشافعي قوله: وعين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تبدي المساويا. ولكن لا بد في زمن المسكنة والضعفة والهزال الفكري والكلل الذهني من تحديد المشكلات والعلل حتى يتسنى علاجها. فما لا يمكن تحديده لا يمكن حصره، وما لا يمكن حصره لا يمكن تعريفه وفهمه. ولا شك أن بعض المترجمين العرب لا يفتقرون إلى العبقرية التي تتجلى أحيانا في شطحات إبداعية رائعة. تأملوا الجملة الآتية:

السلطة المطلقة مفسدة مطلقة.

وهي ترجمة ذكية للجملة الإنجليزية المعروفة (absolute power corrupts absolutely). وعبقرية هذه الترجمة تكمن في اختيار المفردات أولاً، إذ اختار المترجم لفظ (السلطة) مقابل (power)

ولفظ (مفسدة) مقابل الفعل الإنجليزي (corrupts). فلم يختار المترجم لفظ (فساد). ولو طلبت من المترجمين العرب ترجمة الجملة الإنجليزية لترجموها بلا تردد على النحو الآتي:

السلطة المطلقة تُفسدُ فساداً مطلقاً.

وإن تنبهوا إلى الفعل اللازم والمتعدي ترجموها كالآتي: السلطة المطلقة تفسد إفساداً مطلقاً. ومنهم من يتذكر ما علمه إياه معلمه في المدرسة الابتدائية وأستاذه الكبير بوجوب ابتداء الجملة العربية بالفعل فيترجمها بكل غباء كالآتي: تفسد السلطة المطلقة إفساداً مطلقاً

ولكننا إذا عدنا إلى الترجمة العربية الأولى لوجدناها أقرب الترجمات إلى الأصل من حيث النواحي البلاغية وأفصحها في اللغة العربية. فخلافاً لمعاصريه من المترجمين والإعلاميين الذين يصرون على الحشو والترجمة الحرفية الحمقاء، كما أسلفنا، فقد أدرك هذا المترجم الفذ الفرق بين الجملة الفعلية في الإنجليزية والجملة الاسمية في العربية ووظيفتهما البيانية والبلاغية. وأدرك كذلك الفرق بين الفساد والمفسدة. فالفساد هو مصدر الفعل اللازم **فَسَدَ يَفْسُدُ فَسَاداً**: أنتن أو عَطِبَ. والإفساد هو مصدر الفعل المتعدي **أَفْسَدَ يَفْسِدُ إِفْسَاداً** (وفَسَاداً). أما المفسدة فهي ما يؤدي إلى الفساد. وهنا تتجلى عبقرية المترجم في اختياره للجملة الاسمية واللفظ مفسدة، وهي عملية الإفساد التي تؤدي إلى الفساد.

واللغة ليست مجرد حفظ كلمات متناثرة هنا وهناك. والتواصل ليس مجرد رصف عشوائي لعبارات وجمل. والترجمة ليست مجرد نقل اعتباطي لكلمات وعبارات متفرقة. بل هي عملية منهجية لمطابقة ومصاقبة أنماط فكرية وبلاغية ومنطقية أدواتها الكلمات والمفردات والعبارات والاصطلاحات. ولقد نجحت الدكتورة حنان عشاوي في التواصل مع الغرب حيث أخفق الكثيرون من معاصريها لا لشيء سوى تمكنها من التواصل بلغة يفهمها الغرب قوامها الأنماط الفكرية والأساليب المنطقية والطرائق البلاغية في التعبير عن الفكر الواحد. لذلك تراها وقد استبعدت عن الأضواء لفاعلية تواصلها ووضوح معانيها. إن لا يريدون للأصوات الواضحة أن تصل إليهم بقوة الفصاحة وجبروت البلاغة التي تحظى بها تلك المرأة المتفوقة. فهل أدلكم على تجارة تنجيكم من سخافة الحرفية وبلاحتها؟

لقد وجه الكاتب العربي الأستاذ أحمد الزيات رسالة مفتوحة إلى "وزير المعارف المصرية" منذ أكثر من نصف قرن، قال فيها:

"...فالترجمة إذن هي الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة، وسد النقص في الأدب، وكشف الظلام عن الأمة.. لذلك أرى أن تنشأ دارٌ للترجمة مستقلة.. يكون من خلالها من جلاله القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ... ثم يُختار لها مئتان على الأقل من المترجمين النابغين في لغتهم وفي اللغات الأوروبية الثلاث، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها..."^{٣١}

ولقد أسهمت الترجمة في إدخال تراكيب نحوية جديدة إلى اللغة العربية. ولقد فندَ حجازي (١٩٧٨) بعضها فذكر منها رصف المصادر، نحو: احتمال قيام حرب واستحالة منع نشوب حرب، وفك حالة الإضافة باستخدام حرف الجر، ولقد عرضنا لها في مقالة سابقة، نحو: المنظر العام للجامعة بدلاً من منظر الجامعة العام، واستخدام كلمة (أحد) و المؤنث (إحدى) مضافة إلى ما بعدها للتذكير، نحو: أحد البيوت و أحد كبار الضباط وإحدى المدارس، وغيرها.

وما يؤخذ بشدة على الأنظمة العربية ومناهجها التربوية التي سعت إلى التعريب فحققت التغريب أنها ما فتئت إقصائية. فبينما تدافع العرب وتهافتوا على تعلم لغات مستعمرهم الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية، كما يتلهفون اليوم لتعلم اللغة العبرية في مواقع هلامية مجازية في خمسة أيام، استبعدوا ثروة لغوية وحيوية تعددت حضاراتها وتوحدت أصولها ومنابتها، تتمثل في شعوب و"أقليات" تعيش بين ظهرانيهم، وتشكل جزءاً أساسياً من امتدادهم الحضاري والتاريخي. فبدلاً من أن يتعلم المواطن العربي لغة جاره في البيت المجاور له، كالأشورية والتركمانية والكردية والأرمنية والسريانية وغيرها من اللغات المتعددة في المنطقة العربية، كلغة ثانية، لهثوا وراء لغات ظنوا أنها تحمل إليهم التقدم والتطور، في بلاد تتلطف إلى العدالة والمساواة والحرية والديمقراطية، ففسروا حضارتهم وشخصيتهم وفرطوا بالثروة اللغوية المتوافرة بينهم، وزرعوا بذور التفرقة والفرقة والاستعلاء والإقصاء.

ولكننا، نحن العرب، بلا ريبة اليوم وبعد مرور أكثر من نصف قرن على دعوة الزيات، وفي غياب الأطر المنهجية للنقل المعرفي، ما تزال العقلية القبلية تسيطر على عقولنا فنغير على الشيء بعشوائية وفوضى وننبره بالأضواء والقشور، فينطبق علينا ما قاله شيخ الشعراء الإنجليزي وليام شكسبير، "لقد حضروا وليمة رائعة من اللغات وسرقوا الفتات!" وكما قال الشاعر العربي:

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ شيئاً | كنقصِ القادرين على التمام^{٣٢}



جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

أنجزت في ٣٠ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٤

¹ لا حَمَلَات. يصر الإعلام الغبي على تسكين الحرف الثاني من جمع المؤنث السالم على زنة فعلات، نحو (خِدْمَة = خِدْمَات) في كل شيء بغض النظر عن حركة ما قبله، وذلك جهلاً بالاتباع الصرفي وشروطه، وهو هنا إعطاء الساكن حركة ما قبله في جمع المؤنث السالم، نحو: نُروُة ، نُروَات. ولمن يريد التعمق، فقاعدة الاتباع هي كالآتي:

في جمع الثلاثي الساكن الثاني:

(١) يجب في جمع الاسم الثلاثي الذي يكون حرفه الأول مفتوحاً وحرفه الثاني ساكناً صحيحاً خالياً من الإدغام فتح حرفه الثاني إتباعاً لأوله، نحو: دَعْدُ وسَجْدَةٌ وطَبِيبَةٌ وحَسْرَةٌ وحَلَقَةٌ: دَعْدَات وسَجْدَات وطَبِيبَات وحَلَقَات .

(٢) يجوز في جمع الاسم الثلاثي الذي يكون حرفه الأول مضموماً أو مكسوراً وحرفه الثاني صحيحاً خالياً من الإدغام، مثل : خَطُوة، وقِطْعَة ، وفِقْرَة ، ثلاثة أوجه، الأول: إتباع ثانيه لأوله ، نحو: خَطُوات وقِطْعَات وفِقْرَات. والثاني : فتح ثانيه ، نحو: خَطُوات وقِطْعَات وفِقْرَات. والثالث: إبقاء ثانيه على حاله من السكون، نحو: خَطُوات وقِطْعَات وفِقْرَات.

(٣) لا يجوز الإتباع في جمع الاسم الثلاثي المُحرَّك الثاني كَشَجَرَة وعَتَبَة والاسم الثلاثي الذي فيه إدغام ، كحِجَّة ومِرَّة ، بل يبقى على حاله نحو: شَجَرَات وعَتَبَات ، وحِجَّات ومِرَّات .

جمع الاسم فوق الثلاثي والاسم الصفة:

(١) لا يجوز الإتباع في جمع الاسم فوق الثلاثي كزَيْنَب وسُعَاد، والاسم الصفة كضَخْمَةٌ وعَبَلَةٌ ، بل يبقى على حاله نحو: زَيْنَبَات وسُعَادَات وضَخْمَاتٍ وعَبَلَاتٍ.

² تنسب هذه الأبيات إلى ابن الوردی. وهي تشبه إلى حد كبير قصيدة الإمام الشافعي:

ودينك موفور وعرضك صين	إذا رمت أن تحيا سليما من الردى
فكلك سوءات وللناس ألسن	فلا ينطقن منك اللسان بسوأة
فدعها وقل يا عين للناس أعين	وعينك إن أبسدت إليك معانبا
ودافع ولكن بالتسي هي أحسن	وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى

من ديوان الشافعي، تحقيق محمد عفيف الزعبي، الناشر دار المعرفة، سوريا، ودار العلم للطباعة والنشر، جدة. ص ٨٤. ويبدو أن من مظاهر التخلف في عصور الانحطاط استباحة الملكية الفكرية، تماماً كما يحدث اليوم في عالم الإنترنت والفضائيات عند العرب وغير العرب.

³ للزوميات أو لزوم ما لم يلزم لأبي العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء. تحقيق عمر أبو النصر/ دار الجبل، بيروت، ١٩٦٩.

⁴ Edelman, Murray 1988. Constructing the Political Spectacle. In S. Z. Theodoulou & M. A. Cahn, Public policy: the essential readings (pp. 381-388). Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

⁵ الأستاذ طه أحمد إبراهيم. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري. دار القلم، بيروت، ١٩٨٨.

⁶ انظر السيد أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، غير مؤرخة.

⁷ Burckhardt, T (1976). Art of Islam Language and Meaning. World of Islam Festival Publishing Company Ltd. England.

⁸ الأستاذ الحبيب المخ، "دور اللغة في تماسك شخصية الأمة"، دراسات في اللغة والحضارة، وزارة الشؤون الثقافية، تونس، ١٩٧٥.

⁹ De Bot, K (2001). *Language Use as an Interface between Sociolinguistic and Psycholinguistic Processes in Language Attrition and Language Shift*. Cited in Clyne, M (2003). Dynamics of Language Contact. Cambridge University Press, Cambridge.

¹⁰ ميخائيل نعيمة، "أوزار اللغة"، في مهب الريح، مؤسسة نوفل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩. ص ١٢٥ - ١٣٢.

¹¹ استثناساً بفكرة أصلية للدكتور طلال محمد الدرويش، في معرض نقاش جرى معه في عام ١٩٩٠.

¹² من الطريف والسخيف أن صلفهم يتخذ أسساً ذكورية وأنثوية، فتجدهن يصرن على الخطأ بينما يحاولون تفاديه. ولعل هذه الظاهرة تستدعي دراسة خاصة بها، إذ يبدو أن مقولة خالف تعرف تعشش في مناظيرهن على حساب سلامة اللغة وفصاحة الكلام وصحته.

¹³ الحبة الكاذبة، أو حبة الاسترضاء، وهي ما يعرف بالبلاسيبو (placebo).

¹⁴ الدكتور أحمد بن نعمان التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

¹⁵ الدكتور محمد المنجي الصيادي. التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. الطبعة الرابعة ١٩٨٥.

¹⁶ الدكتور عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

¹⁷ يقصد مكاني زمني، واللفظ الذي استعمله الكاتب مترجم عن الإنجليزية spatial-temporal.

¹⁸ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية دلالية، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية) - بغداد ودار توبقال للنشر - الرباط، بغداد، ١٩٨٢. بالعربية. (يبدو أنه مترجم من الإنجليزية).

¹⁹ يقصد (محيط وثقافة داخليين)، أي دخيلين. واستعمال (أو) في النص خطأ من أثر الترجمة.

²⁰ الدكتور أميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

²¹ الدكتور محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨.

²² مفردتها ترجمان، بمعنى مترجم تحريري هنا. ومع تطور مهنة الترجمة إلى شقين متميزين، تحريري وشفهي، اقتضى التمييز بينهما اصطلاحاً. لذا وجب اعتماد لفظ المترجم للترجمة التحريرية والترجمان للترجمة الشفهية. فهناك شواهد كثيرة على استعمال اللفظ ترجمان في الترجمة الشفهية. وما يؤخذ على هذا اللفظ عند عامة الناس أمر ينبغي تجاوزه. فاللغة متطورة والألفاظ تكتسب معاني يضيفها عليها أصحابها. لا حاجة لاستشارة العوام من الناس في مهنة تحدث آثاراً كبيرة ومهمة في مسيرة التطور والحضارة. أما ما يقال عن أن اللفظ له مضامين أخرى فحسبه أن ينظر إلى ما يقابله في الإنجليزية فيرى تعدد المعاني الظاهرة والباطنة فيه.

²³ ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧.

²⁴ المصدر نفسه.

²⁵ لقد دون الطهطاوي الصوت (v) في الفرنسية بحرف الواو في العربية. فقد كان هذا عرفاً في التركية عندما كانت تكتب بحروف عربية وفي الفارسية أيضاً. فكتب بوليفيا (Bolivia) على هذا النحو: بولويه.

²⁶ إن الغاية من هذه الأمثلة محض أكاديمية مجردة من أي موقف ونوردها هنا فقط لإبراز أهمية الترجمة الواعية بغض النظر عن طبيعة النص ونوعه، ولا يقصد بها أي شيء آخر.

-
- 27 الدليل على صحة هذا التحليل ورود النص (loved the world so much) في نسخ أخرى.
- 28 كان المترجمون والنقلة العرب السالفون ينزعون إلى استخدام (طاء) لتمثيل الصوت (t) والقاف لتمثيل الصوت (k) بغض النظر عن ما يسبقه فيخففه أو يضحمه. والأمر معكوس في العربية المعاصر، فصار الصوت (t) يمثل بحرف التاء بغض النظر عن تلك الشروط، نحو (توني بلير). وتتجاذب الأقطار والجماعات فيما بينها حول هذا الاستعمال.
- 29 سورة الإسراء، الآية ٤٩ والآية ٩٨.
- 30 سورة العنكبوت، الآية ١٧. والشواهد القرآنية كثيرة.
- 31 انظر في سبيل العربية ، للدكتور محمد هيثم الخياط، طبعة خاصة ، غير مؤرخة (في مطلع الثمانينات). ص ٢٤.
- 32 يروى أيضا "كنقص القادرين على الكمال".